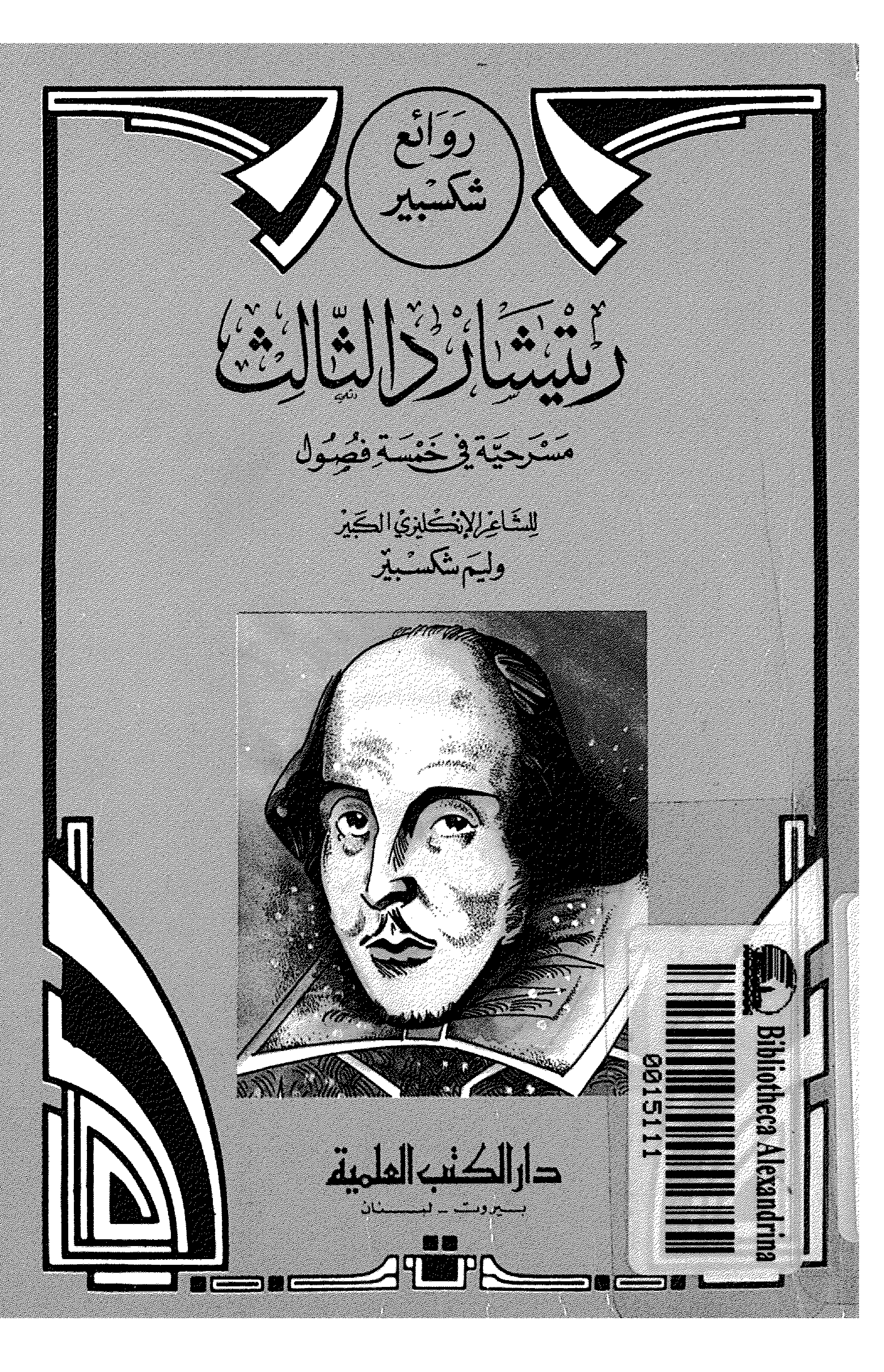

روائع
شكسبير
ريتشارد الثالث
مسرحية في خمسة فصول
للشاعر الإنكليزي الكبير
وليم شكسبير
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
Bibliotheca Alexandrina
0015111

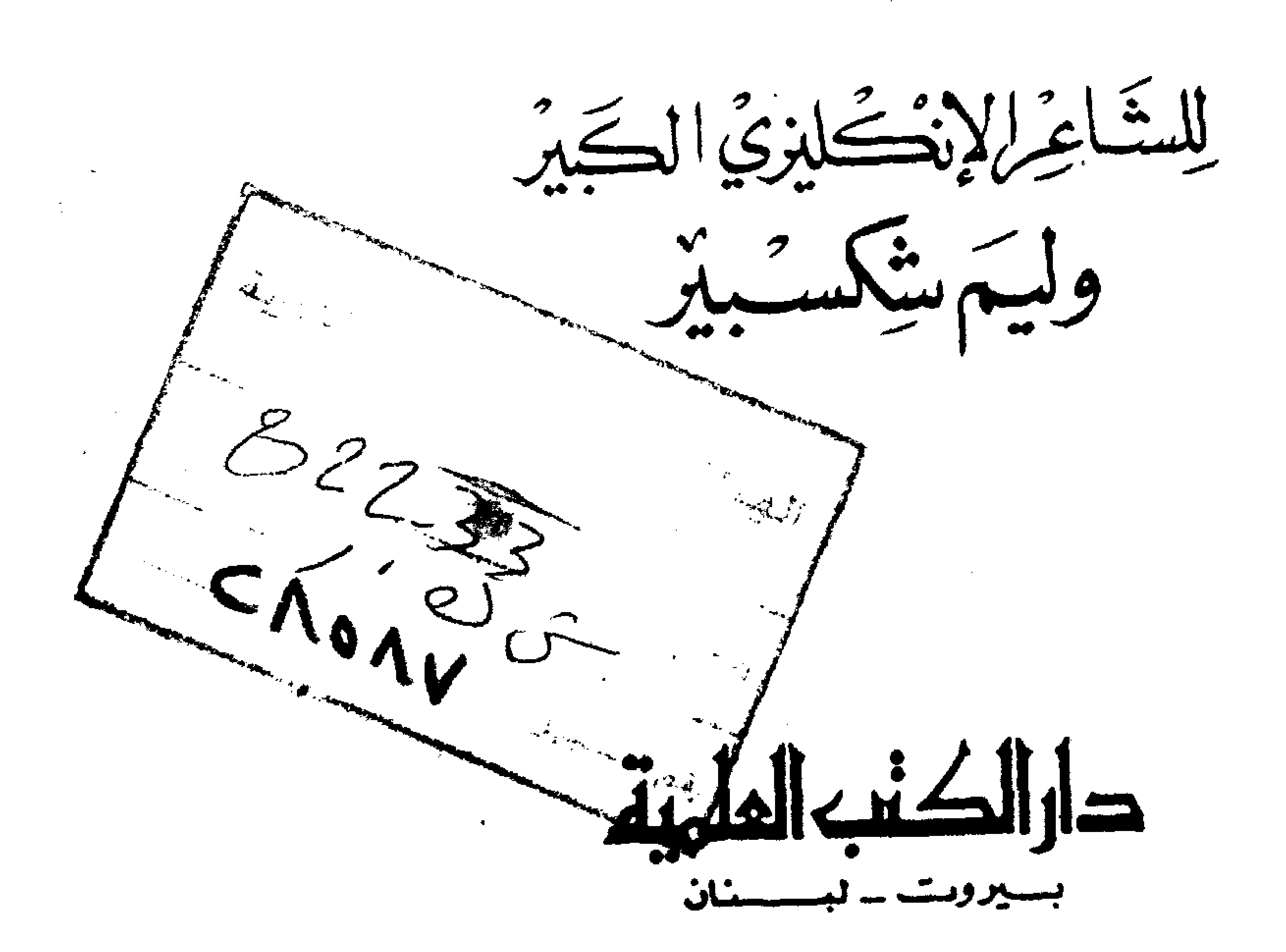


ريتشارد الثالث

مسرحية في خمسة فصول

للشاعر الإنكليزي الكبير

وليم شكسبير



دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

وليم شكسبير
(١٥٦٤ - ١٦١٦)

أعظم الشعراء والكتاب المسرحيين الإنكليز ، ومن أبرز الشخصيات في الأدب العالمي إن لم يكن أبرزها على الإطلاق . يصعب تحديد عبقريته بمعيار بعينه من معايير النقد الأدبي ، وإن كانت حكَمُه التي وضعها على لسان شخصيات رواياته خالدة في كل زمان .

هناك تكهنات وروايات عديدة عن حقيقة شخصيته التي يكتنفها الغموض والإبهام ، وعن حياته التي لا يعرف عنها إلا القدر اليسير . والثابت أن أباه كان رجلاً له مكانته في المجتمع ، وكانت أمه من عائلة ميسورة الحال . وقيل إنه بلغ حدّاً من التعليم مكّنه من التدريس في بلدته ستراتفورد ـ أون ـ آفون ، التي يوجد بها الآن مسرح يسمى باسمه ، يقوم بالتمثيل على خشبته أكبر الممثلين المتخصصين في رواياته . ومن الثابت أيضاً أنه تزوج من آن هاتاواي ، وأنجب منها ثلاثة أطفال .

في سنة ١٥٨٨ انتقل إلى لندن وربط حياته بالمسرح هناك . وفي سنة ١٥٨٩ أُخرجت أولى مسرحياته ، وهي إما مسرحية « كوميديا الأغلاط » أو الجزء الأول من مسرحية « هنري السادس » . وفي سنة ١٥٩٩ اشترك في إدارة مسرح غلوب الشهير .

وقد كان شكسبير رجل عصره على الرغم من عالمية فنه ، إذ تأثر إلى حدّ بعيد بمعاصريه من كتّـاب المسرح مثل توماس كيد وكريستوفر مارلو ، وخاطب مثلهم الذوق الشعبي في عصره ، وهو الذوق الذي كان يهوى المآسي التاريخية بما فيها من عنف ومشاهد دامية . كما كان يهوى المشاهد الهزلية ذات الطابع المكشوف التي كانت تتخلل المسرحيات التراجيدية لتخفف من حدة وقعها .

غير أن شكسبير هذّب القصص التي نقلها عن المؤرخ هوليتشد لتاريخ انكلترا واسكوتلندا ، كما هو الحال في مسرحيات « مكبث» و« الملك لير » و« سمبلين » و « ريتشارد الثالث » . وعن المؤرخ الروماني بلوتارك ، كما في مسرحية « أنطوني وكليوباطرا » . وأضف إلى ذلك كله عمق تحليله للنفس البشرية ، فضلاً عن شاعريته الفياضة في تصوير المواقف التاريخية والعاطفية الخالدة ، حتى جعل من المسرح الإنكليزي فنّاً عالميّاً رفيعاً .

ومن المتفق عليه بين معظم الباحثين والدارسين أن ٣٨ من المسرحيات لا يشك في نسبتها إليه ، وأن مراحل إنتاجه الأدبي يمكن تقسيمها إلى مراحل أربع :

أولاهـا : (١٥٩٠ ـ ١٥٩٤) وتحوي مجموعة من المسرحيات التاريخية منها « كوميديا الأغلاط » و « هنري السادس » و « تيتوس أندرونيكوس » و « السيدان من فيرونا » و « جهد الحب الضائع » و « الملك جون » و « ريتشارد الثالث » و « ترويض النمرة » .

المرحلة الثانية : هي المرحلة الغنائية (١٥٩٥ ـ ١٦٠٠)

وتشتمل على معظم قصائده الشهيرة وبعض مسرحياته الخفيفة ، مثل « ريتشارد الثاني » و « حلم منتصف ليلة صيف » و « تاجر البندقية » التي ترجمت جميعاً إلى العربية مع بعض روائعه الشهيرة مثل « روميو وجولييت » و « هنري الخامس » و « يوليوس قيصر » و« كما تهواه » وقد ترجمت جميعاً إلى العربية أيضاً.

ومن مسرحيات هذه المرحلة كذلك « زوجات وندسور المرحات » و « ضجيج ولا طحن » .

المرحلة الثالثة : وهي أهم المراحل على الإطلاق ، إذ تمثل قمة نضوجه الفني ؛ فقد كتب فيها أعظم مسرحياته التراجيدية ، مثل « هاملت » و « عطيل » و« الملك لير » و« مكبث » و« أنطوني وكليوباطرا » و« بركليز » و « كريولينس » و « دقة بدقة » ، وقد ترجم معظمها إلى العربية ، ومنها ما ترجم أكثر من مرة ، ومنها ما بلغ عدد ترجماته العشرة مثل « هاملت » .

ومن مسرحيات هذه المرحلة أيضاً « تيمون الأثيني» و « خير ما انتهى بخير » .

المرحلة الرابعة : وهي المرحلة التي اختتم بها حياته الفنية (١٦٠٩ ـ ١٦١٣) ، وقد اشتملت على مسرحيات « هنري الثامن » و « العاصفة » مما ترجم إلى العربية ، وعلى مسرحيتي « قصة الشتاء » و« سمبلين » .

وفي هذه المرحلة نجد العواطف النفسية العنيفة وقد خبت وتحولت في نفس الشاعر إلى نظرة تقبل ورضى وأمل وتأمل .

هذا وقد نسب بعض النقاد المتقدمين مؤلفاته إلى آخرين ، منهم الفيلسوف فرنسيس بيكون ، ومنهم إيرل اكسفورد . وقال

آخرون إنه من أصل عربي وإن اسمه جاء تحريفاً لاسم الشيخ زبير . وكلها أقوال لم تثبت بالأدلة القاطعة ولم يقم عليها الدليل العلمي وإن كانت هناك بحوث كثيرة في هذا الصدد . ولقد اشترك كثير من كبار الشعراء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في جمع مسرحياته ونقدها ، وإن اختلفت وجهات النظر وتعددت أساليب النقد . ففي القرن الثامن عشر اعترض كتّاب من أمثال « دريدن » و « بوب » على ما اعتبروه إسراف شكسبير في الخيال والتعبير . أما شعراء القرن التاسع عشر من أمثال « كولريدج » فقد أعطوا الشاعر الكبير ما يستحقه من التقدير ، وكذلك الحال بالنسبة إلى نقاد القرن العشرين ، من أمثال « ت . س . اليوت » ممن أكدوا عالمية فنه وخلود أدبه .

هذا وقد كان لشكسبير أثره الكبير في آداب جميع الأمم على الإطلاق ، وتأثر به جميع الكتاب والشعراء والأدباء في كل البلدان وفي كل العصور ، في القارة الأوروبية وفي الأمريكتين وفي غير ذلك من القارات في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر خاصة ، وفي غير ذلك من القرون . أما في الأدب العربي فقد تأثر به كثير من الأدباء ، وترجمت معظم مسرحياته ، وقدمت في المسرح والسينما والإذاعة .

ونحن ، في دار الكتب العلمية ، إذ يسرنا أن نقدم إلى القراء الكرام أشهر مسرحيات شكسبير المعربة ، نتمنى أن يكون ذلك دافعاً لمزيد من التمازج والتلاقح بين الثقافة العربية العظيمة ومختلف الثقافات الأجنبية ، تمهيداً لإنشاء ثقافة إنسانية واحدة متكاملة . وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم .

أشخاص المسرحية

الملك إدوار الرابع

إدوار أمير ويلز (الملك إدوار الخامس فيما بعد)
دوق يورك
ابنا الملك

جورج دوق كلرنس
ريتشارد دوق غلوستر (الملك ريتشارد الثالث فيما بعد)
أخوا الملك

ولد صغير لدوق كلرنس .

هنري إرل ريشمود (الملك هنري السابع فيما بعد) .

كاردينال بورشييه (رئيس أساقفة كنتربري) .

توماس روترهام (رئيس أساقفة يورك) .

جون مورتون أسقف (إيلي) .

دوق بكنغهام

دوق نورفوك

إرل سريّ (ابن دوق نورفوك) .

إرل رفيرز (أخو الملكة اليزابيت) .

مركيز دوريست
اللورد غراي
ابنا اليزابيت

إرل أكسفورد

اللورد هستينكز
اللورد ستانلي (ويدعى أيضاً إرل ديربي) .
اللورد لافيل

رجال الحاشية

سير توماس فوغان	سير جايمس تيرل
سير ريتشارد راتكليف	سير جيمس بلاونت
سير وليام كتسباي	سير وولتر هربيرت

سير روبير براكينبري (رئيس شرطة القلعة) .
كريستوف آرزويك (راهب) .
راهب آخر .
ترسيل وبركيلاي (سيدان من أتباع السيدة آن) .
عمدة لندن ، حاكم ويلتشير .
اليزابيت (الملكة ، زوجة أدوار الرابع) .
مارغريت (أرملة هنري السادس) .
دوقة يورك (أم هنري الرابع) .
السيدة آن (أرملة إدوار أمير ويلز وابن هنري السادس وقد تزوجت من ريتشارد الثالث) .
ابنة صغيرة لكلرنس (مارغريت بلانتاغنيت) .
أشباح من قتلهم ريتشارد الثالث :
لوردات وغيرهم من الأتباع ـ ضابط ومسجل ـ مواطنون ـ قتلة ـ رسل وجنود وغيرهم .
المكان ـ إنكلترا .

الفصل الأول

المشهد الأول

المكان : لندن ـ قصر دوق غلوستر

(ريتشارد دوق غلوستر يخاطب نفسه بصوت مرتفع)

غلوستر : والآن هذا الشتاء المملُّ جعل الصيف
مجيداً بهذه الشمس ، وكل السحب التي
انخفضت فوق بيتنا في قعر المحيط
دفنت ، وعلّقت أيـدينا المصـابـة
كالأصنام ، وتحولت إجتماعـاتنا إلى
اجتماعات فرح وسعادة ، وبسط إلّه الحرب
المقطّب جبينه العابس ، وبعد أن كان
يمتطي صهوة الجياد المدرَّعة ليلقي الهلع
في نفوس الأعداء الجبناء غدا يثب خفيفاً
في حجرة محبوبته ، على ألحان قيثارته
الممتعة المثيرة ، أما أنا ، الذي لم أولد
في خلقة تبيح لي أن أزاول أفانين
الحب ، ولم أخلق لأمتع النظر بصورتي
على مرآة حبيبة .
أنا الذي خلق على عجل ، ولم يؤتَ من
جمال المحبين ، ما يتبختر به أمام حسناء

مختالة لعوب ، أنا الذي حرم تناسق القسمات وزيفت الطبيعة الخادعة قامته ، أنا المشوه المنقوص ، الذي بُعث قبل الأوان إلى هذا العالم النابض بالحياة ولما يكد يكتمل خلقه ، أنا الذي تهوشه الكلاب إذا وقف حيالها لما تراه من بالغ عجزه ، وغرابة هيئته ، أما أنا فلا أجد في هذا الوقت ، أوان السلم ، الذي تخفت فيه الأصوات وترق ، شيئاً من المتعة أتلهى به ، إلا أن أسترق النظر إلى ظلي في ضوء الشمس ، وأتغنى بخلقتي الشائنة .

فلأكن إذن شريراً ! ما دمت لا أصلح للحب ، ولا للتمتع بهذه الأيام الجميلة السعيدة ، ولأمنح تلك الأيام ومتعها اللذيذة كراهيتي وحقدي ، لقد رسمت خططي وشرعت في مقدماتها الخطيرة ، لأقيم بالنبوءات الفارغة والتشهير ، والأحلام ، كراهية مهلكة بين الملك وبين أخي كلرنس . ولئن صح أن الملك إدوار يبلغ من الصدق والإنصاف ما أبلغه أنا من الدهاء والزيف والمكر ، فليحبس كلرنس اليوم ولتضيق عليه السجون من أجل تلك النبوءة التي تزعم : أن ورثة إدوا[illegible] لمون

على يد رجل أسمه الأول بحرف الجيم .
فلتغوصي أيتها الأفكار إلى قرارة نفسي ،
فها هو ذا كلرنس قد أتى .

(يدخل كلرنس يحيط به
حرس ومعه براكينبري)

أسعدت صباحاً يا أخي - ما لهؤلاء الحراس المسلحين من حولك .

كلرنس : لقد أراد جلالة الملك ، حفاظاً منه على سلامتي ، أن يعين هذا الحرس ليرافقني إلى القلعة .

دوق غلوستر : ولماذا ؟ .

كلرنس : لأن اسمي جورج ! .

دوق غلوستر : ويا للأسف يا سيدي إذ تؤخذ بذنب لا يد لك فيه . لقد كان عليه أن يعاقب على ذلك معمِّدك الذي عمَّدك ، أو ترى قد نوى الملك أن يعمِّدك في القلعة ويسميك من جديد ؟ .
ولكن ما خبايا هذا الأمر يا كلرنس ؟ هلا أخبرتني ؟ .

كلرنس : سأخبرك يا ريتشارد حين أعرفه ، فإني لأؤكد أن ليس لي به حتى الآن علم ولكن يخيل إليَّ أن الملك يؤمن بالنبوءات والأحلام ، وقد انتقى من بين حروف

الهجاء حرف الجيم وقال إن ساحرة تنبأت
له أن « جيم » سيغتصب العرش من
أولاده .
ولما كان اسمي جورج يبدأ بحرف
الجيم[1] فقد اعتقد أنني هو ، وتلك
النبوءات ، وأمثالها من العبث ، هي التي
دعت جلالته ، فيما بلغني ، إلى أن يزج
بي في السجن .

دوق غلوستر : عجباً ، فإن ذلك لا يحصل إلا حين
يرضخ الرجال لحكم النساء . إن من
يرسلك الآن إلى البرج ليس الملك ، بل
إن زوجته السيدة غراي ، يا كلرنس ، هي
التي تجيشه عليك إلى هذا الحد .
ألم تكن هي وأخوها ، ذلك الرجل الطيب
النبيل أنطوني ودفل ، هما اللذان دفعاه
إلى أن يرسل باللورد هستينكز إلى
القلعة ، فلم يخرج منها إلا اليوم ؟ .
أي كلرنس ، لسنا بمأمن ! لسنا
بمأمن ! .

كلرنس : تالله ما من أحد بمنجى من الخطر ، إلا
أنسباء الملكة ورسل الليل ، الذين

---

(١) الملاحظ أن اسم جورج George وغلوستر Gloucester بالانكليزية يبدآن بحرف «G» في حين أنهما غير ذلك باللغة العربية .

يقيسون الدرب بين الملك وعشيقته « شور » .
ألم تسمع إلى أي حد توسل إليها لورد هستينكز حتى يخلي سبيله ؟ .

دوق غلوستر : لقد شكا مولاي اللورد كبير الأمناء إلى « جلالتها » بمذلة وخنوع فظفر بحريته ، ماذا أقول ، إني لأعتقد أن خير سبيل نسير فيها لكي نحظى بعطف الملك ، أن نكون من رجالها ، وأن نلبس لباس أتباعها ، فإن الأرملة التي أبلتها الأعوام وفطرت على الريبة والهواجس قد أصبح لها هي والعشيقة ، السلطان النافذ في الدولة ، بعد أن رفعهما شقيقنا الملك إلى مرتبة النبيلات .

براكينبري : معذرة أيها السيدان ، فإن الملك قد أصدر أمراً قاطعاً بألا ينفرد أحد مهما يكن شأنه مع أخيه .

دوق غلوستر : لا يعنينا هذا ، فإنك يا براكينبري عليك إذا شئت ، أن تشارك في كل ما نتكلم به ، فليس في كلامنا خيانة أيها الرجل ، وإنما نحن نقول إن الملك حصيف فاضل ، وملكته النبيلة - على تقدم عمرها - جميلة لا تشعر بشيء من الغيرة . ونقول إن زوجة « شور » ذات قدم بديعة ،

وشفة كالكرز ، وعين جميلة ، ولسان ممتع جداً ، وإن أنسباء الملكة يرفعون إلى مرتبة النبلاء .
فما قولك أنت يا سيدي ؟ هل تقدر أن تنكر شيئاً من هذا ؟ .

براكينبري : لا علاقة لي بهذا يا سيدي اللورد .

دوق غلوستر : لا علاقة لك بالسيدة شور ! ألا فلتعلم أيها الرجل إنه لخير لمن له علاقة بها أن يفعل هذا وحده خفية ، أللهم إلا إنساناً واحداً .

براكينبري : ومن يكون هذا المرء يا سيدي اللورد ؟ .

دوق غلوستر : زوجها يا خبيث ! أو تفضح أمري وتشي بي ؟ .

براكينبري : معذرة يا سيدي إذا طلبت منك أن تكف عن الكلام مع الدوق النبيل .

كلرنس : نحن نعرف ما أمرت به - أي براكينبري - وسنطيع ذلك الأمر .

دوق غلوستر : نحن أكثر رعايا الملكة إستجابة واستكانة وقد وجبت علينا الطاعة .

إلى الملتقى يا أخي - إنني ذاهب إلى الملك ، وسأفعل كل ما تبغيه ، حتى أعيد إليك حريتك ، حتى ولو اضطررت

أن أدعو أرملة إدوار بيا أختي غير أن
العقوق الشديد بحق الأشقاء يحزّ في
نفسي أشد مما تستطيع أن تتصور .

كلرنس : إني لأعلم أن ذلك لا يرضيك ولا
يرضيني .

دوق غلوستر : إن سجنك لن يطول على أية حال ،
وسأنجيك أو أزج في السجن معك، أما
الآن فيجب أن تتذرع بالصبر .

كلرنس : لا حيلة لي في ذلك ، إلى الملتقى .

(يخرج كلرنس وبراكينبري والحرس)

دوق غلوستر : اذهب ، واسلك ذلك الدرب الذي لا
إياب لك منه ، يا كلرنس ، أيها الساذج
الأمين . إن لك في نفسي من الحب ، ما
يحملني على أن أرسل بروحك قريباً إلى
السماء ، لو استجابت السماء وقبلت ما
بين أيدينا من قربان ! ولكن من الآتي
باتجاهنا أهو هستينكز الذي أخلي سبيله
اليوم .

(يدخل لورد هستينكز)

هستينكز : طاب وقتك يا سيدي اللورد الكريم ! .

دوق غلوستر : وطاب وقت سيدي الكريم كبير أمناء

القصر مرحباً بك في هذا الجو الطلق .
كيف كان احتمال سيدي اللورد للسجن ؟ .

هستينكز : احتملته بصبر وأناة يا سيدي النبيل كما ينبغي لكل سجين . ولكني سأحيا يا سيدي لأرد الجميل إلى من كانوا السبب في حبسي .

دوق غلوستر : بلا ريب ، بلا ريب وكذلك سيفعل كلرنس ؟ فإن خصومك بالأمس هم اليوم خصومه ، وقد ظفروا به كما ظفروا بك .

هستينكز : لشد ما آسف أن يحبس النسر وتترك الحدآت وضعاف الصقور ، لتصطاد كيف تشاء .

دوق غلوستر : هل من أخبار من الخارج؟

هستينكز : إن الأخبار من الخارج لا تبلغ في سوئها مبلغ الأخبار من الداخل . فالملك سقيم واهن القوى قد علته الكآبة والهموم ، وأطباؤه يخافون على حياته خوفاً شديداً .

دوق غلوستر : بحق القديس « بولس » إنها لأخبار سيئة . لقد اتبع منذ وقت طويل نظاماً قاسياً في الأكل ، حتى هزل جسد جلالته هزالاً شديداً ! إنه لأمر يبعث التفكير فيه على

الحزن الشديد .
أين هو ، هـل يلازم الفراش ؟ .

هستينكز : نعم .

دوق غلوستر : اسبقني إذن وسأتبعك .

(يخرج هستينكز)

إنه ـ فيما آمل ـ لا يمكن أن يحيا ، ويجب
ألا يموت قبل أن يرسل جورج إلى السماء
على عجل .
فلأدخل الآن لأزيده كرهاً لكلرنس
بأكاذيب مدعومة بالحجج القوية دعماً
حسناً ، وإذا لم أفشل في خطتي الماكرة
فلن يحيا كلرنس بعد اليوم ، وليتغمد الله
الملك إدوار ، من بعد ، برحمته ، وليدع
لي الدنيا لأمرح فيها ، وأقترن حينئذٍ
بصغرى بنات « وريك » ولا ضير عليَّ إن
كنت قتلت زوجها وحماها ؛ فإن أسرع
وسيلة لاسترضائها أن أصبح لها زوجاً
وأباً . وإني لفاعل هذا ، لا بسبب الحب
وحده ، بل أفعله لغاية خفية أخرى ، لا
بد أن أبلغها بذلك الزواج . على أن
موقفي إلى الآن ، كموقف عربة تريد أن
تسبق الجواد إلى السوق ، فما زال
كلرنس على قيد الحياة ، وما زال إدوار

يعيش ويحكم . ولا يجدر بي أن أعد مكاسبي إلا بعد رحيلهما .

(يخرج)

المشهد الثاني

المكان نفسه ـ شارع آخر

(يدخل جثمان الملك هنري السادس في حراسة حملة الرماح ،والسيدة آن بملابس الحداد يحف بها ترسيل وبركيلاي)

كلرنس : ضعوه ! ضعوا حملكم النبيل ، إن كان للنبل أن يحتويه كفن . ودعوني برهة أبكيه ، وأرثي سقوط سليل لانكستر المجيد ، قبل الأوان .
أيتها الجثة الهامدة الباردة لملك قديس ! .
أيها الرماد الخامد من آل لانكستر ، أيتها البقية من النجيع الملكي ما بك قد غاب عنك نجيع الحياة ! .
أيحق لي أن أنادي روحك ، لتسمع نواح آن المسكينة ، زوج ولدك إدوار ، ولدك القتيل .. الطعين باليد نفسها التي أصابتك بهذه الكلوم ! .
انظر ! إني لأسكب من مقلتيّ التعبتين بلسماً لا شفاء فيه في تلك المنافذ التي انطلقت منها حياتك ، ألا فلتحل اللعنة

على تلك اليد التي فعلت تلك الثقوب ،
ولتحل اللعنة على القلب الذي واتته
القسوة على القيام بهذا الفعل .
ولتحل اللعنة على دم ذاك الذي أراق
دمك .
وليكن مصير ذلك الشقي المقيت الذي
أشقانا بموتك أفظع من المصير الذي
أتمناه للذئاب بل للعناكب أو الضفادع أو
سواها من الزواحف السامة التي تدب
على الأرض .
وإن قدر له أن يوهب الولد ، فليأت ولده
سقطاً مشوهاً يرى نور الحياة قبل الأوان ،
ويخيف منظره الدميم الغريب والدته التي
كانت تعقد عليه الآمال ، ويرث ما كتب
على أبيه من شقاء ! .
وإذا قدر له أن يتزوج فليكتب لها من
الأتراح أكثر مما أصابني بموت زوجي
الشاب وموتك .
والآن فلتأخذوا حملكم المقدس ، الذي
جئتم به من كنيسة القديس بولس ولتتجهوا
به نحو تشرتس لدفنه هناك..
على أن هذا الحمل قد أجهدكم
فلتستريحوا، بينما استمر في رثائي جثمان
الملك هنري . (يدخل غلوستر)

دوق غلوستر : انتظروا يا حملة الجثمان وضعوه على الأرض .

آن : أي ساحر شرير ذلك الذي أفلت هذا الشيطان ، ليقف في درب أعمالنا المقدسة الخيرة ؟ .

دوق غلوستر : أيها الأنذال أنزلوا الجثة ، وإلا فبحق بولس القديس لأحيلن من يعصيني منكم إلى جثة ! .

حارس من حملة الرماح: سيدي اللورد ابتعد وأفسح الدرب للنعش .

دوق غلوستر : أيها الكلب الوقح قف حين امرك ، وابعد رمحك عن صدري ، أو بحق بولس القديس لأقتلنك تحت قدمي ، وأدوس بها جسدك ، أيها المتسول ، لما أظهرت من وقاحة؟

آن : ماذا! أترتعدون؟ هل أصابكم الخوف جميعاً ؟ واأسفاه. ولكني لا ألومكم فأنتم بشر ، ولا تتمكن عيون البشر أن تحتمل النظر إلى الشيطان . إليك عنا يا موقد الجحيم المرعب ، فليس لك سلطان إلا على جسده الفاني ، أما روحه فلن تستطيع أن تنالها ! فاذهب .

دوق غلوستر : رحماك أيتها القديسة الجميلة ولا تتركي

الغضب يستبد بك .

آن : اذهب أيها الشيطان النتن بحق الله ،
واتركنا بسلام ، فلقد جعلت من الأرض
السعيدة جحيماً مليئاً بصيحات اللعنة
والصرخات المكلومة ، وإن طاب لك أن
تنظر إلى أفعالك البشعة ، فألق نظرة على
ذلك المثال الناطق بمجازرك .
أيها السادة ، انظروا ! انظروا ! لقد فغرت
الكلوم من جثة هنري أفواهها المتجمدة
وراحت تنزف دماً من جديد !
ألا فلتخجل ، ولتخجل يا كتلة من الدنس
مشوهة ، إن حضورك هو الذي ينفث هذا
الدم ، من شرايين باردة يابسة لا دم فيها .
إن أفعالك الجائرة العجيبة ، تثير هذا
السيل البالغ العجب .
رباه يا صانع هذه الدماء اثأر لمماته وأنتِ
أيتها الأرض، يا من تشربين هذه الدماء
انتقمي لمصرعه . .
ولتصرع السماء القاتل بصواعقها ، أو
فلتنشق الأرض في سعة وتبتلعه حياً ، كما
هي تبتلع دم ذلك الملك الكريم الذي
صرعته تلك اليد .

دوق غلوستر : سيدتي ، إنك لا تعلمين شيئاً من سنن

الرحمة ، التي تكافىء بالشر خيراً ،
وباللعنة يُمناً وبركة .

آن : أيها الشرير ، إنك لا تعلم شيئاً من سنن
الله أو الإنسان . وما من وحش مهما بلغت
ضراوته يخلو قلبه من الرحمة .

دوق غلوستر : ولكن قلبي لا يعرف الرحمة أبداً ، فأنا
إذن لست حيواناً .

آن : ما أعجب أن تتفوه الشياطين بالحق ! .

دوق غلوستر : وأغرب من ذلك أن يستبد الغضب
بالملائكة . فلتتكرّم سيدتي ، يا من ظهرت
بكمالها في صورة الملائكة ، وتأذن لي أن
أبرىء نفسي بالحجج الظاهرة ، من تلك
الذنوب المدّعاة.

آن : تكرّم أنت، أيها المسخ واسمح لي أن
أسوق من الحجج الظاهرة ما أرمي به
نفسك اللعينة بالذنوب المفضوحة .

دوق غلوستر : يا من لا يقدر اللسان عن وصف جمالها ،
هبيني قليلاً من وقتك وصبرك لأبرىء
نفسي .

آن : يا من لا يقدر القلب عن إدراك دنسه لن
تتمكن أن تجد مبرراً مقبولاً إلا أن تشنق
نفسك .

دوق غلوستر : ولكني بمثل ذلك العجز أدين نفسي .

آن : وبالعجز يلتمس لك العذر ، إذ تكون قد ثأرت من نفسك ثأراً تستحقه ، لما ارتكبته من قتل من لا يستحق أن يقتل .

دوق غلوستر : أو أقول إنني لم أقتلهما ؟ .

آن : فلتقل إذن إنهما لم يُقتلا : ولكنهما الآن قتيلان وبيدك أيها المملوك اللعين .

دوق غلوستر : إنني لم أقتل زوجك .

آن : عجباً فهو حي إذن .

دوق غلوستر : كلا ، لقد مات ومثلت به يد إدوار .

آن : إن فاك الدنس ينطق بالكذب . فلقد رأت الملكة مارغريت دمه يقطر من نصلك الغادر ، سيفك الذي سددته يوماً إلى صدرها ، لولا أن أبعده عنها أشقاؤك .

دوق غلوستر : لقد هاجني لسانها البذيء ، ذلك الذي ألقى جرمهم على كتفي البريئتين .

آن : لقد أثارتك نفسك المحبة لسفك الدماء، التي لم تفكر أبداً سوى في المجازر، ألم تقتل هذا الملك؟

دوق غلوستر : أسلم لك بهذا ! .

آن : تسلم لي أيها القنفذ ! إذن فليسلم لي الله

أيضاً بأن أسأل اللعنة عليك من أجل فعلتك الخبيثة . يا للحسرة لقد كان دمثاً وديعاً فاضلاً ! .

دوق غلوستر : وهذا ما جعله أصلح لإله السموات الذي اصطفاه إلى جواره .

آن : إنه في الجنة التي لن تلجها قط .

دوق غلوستر : فليشكرني إذن ، فقد ساعدته وبعثت به إلى هناك ، لأني رأيته أصلح السماء منه للأرض .

آن : أما أنت فلا تصلح إلا لجهنم .

دوق غلوستر : بل أصلح لمكان آخر إذا سمحت لي أن أسميه .

آن : سجن مظلم .

دوق غلوستر : مخدعك .

آن : إن الحجرة التي نرقد فيها يحل فيها السهاد .

دوق غلوستر : أجل يا سيدتي إلى أن أرقد معك .

آن : آمل ذلك .

دوق غلوستر : أعرف ذلك ، ولكن دعينا يا سيدتي الناعمة آن ، نترك التراشق الحاد بالسباب . ونفيء إلى شيء من الجد أكثر سكوناً ورصانة ألا يكون ملوماً من كان

سبباً في ذلك الموت المبكر الذي أصاب هنري وإدوار ، سليلي آل بلانتاغنيت لوم من نفذه ؟ .

آن : أنت هو السبب والمنفذ اللعين معاً .

دوق غلوستر : لقد كان جمالك سبباً لما اقترفت. جمالك الذي كثيراً ما طاف بي في رقادي ، ودفعني إلى أن آخذ على كاهلي قتل الناس جميعهم ، لأستريح ساعة واحدة إلى صدرك الحنون .

آن : إذن فاعلم أيها القاتل أنه لو خطر لي ذلك لانتزعت جمال وجنتيّ بأظافري هذه .

دوق غلوستر : إن عيني لا تحتملان أن تنظرا إلى حطام الجمال البديع ، فلا ينبغي أن تشوهيه على مرأى مني . فكما يُسرّ الناس جميعاً بنور الشمس ، كذلك أسر أنا بجمالك . فهو شمسي وحياتي .

آن : ألا فليظلم الليل البهيم نهارك ، وليمحي الموت حياتك .

دوق غلوستر : لا تسألي اللعنات لنفسك ، أيتها المخلوقة البديعة ، فأنت النهار والليل كلاهما .

آن : أحببت لو كنتهما لانتقمت منك

دوق غلوستر : إنها لعداوة عجيبة أن تسألي الانتقام ممن يحبك .

آن : إنها عداوة قوامها الحق والعقل ، أن أنتقم ممن قتل زوجي .

دوق غلوستر : إن من سلب منك زوجك ، يا سيدتي إنما فعل ذلك ليهيء لك زوجاً أفضل .

آن : ليس بين الأحياء من هو أحسن منه .

دوق غلوستر : بل إنه ليعيش هذا الذي يودك أكثر منه .

آن : سمه .

دوق غلوستر : بلانتاغنيت .

آن : يا للعجب لقد كان بلانتاغنيت .

دوق غلوستر : إنه ليعرف بهذا اللقب ذاته ولكنه من معدن أفضل .

آن : وأين هو؟ .

دوق غلوستر : هنا .

(تتفَّ عليه)

لماذا تتفين علي ؟ .

آن : وددت ، من أجلك ، لو أن بصقتي كانت سماً قاتلاً .

دوق غلوستر : ما كان لهذا الموضع اللذيذ أن ينفث السم بتاتاً .

آن : ما نُفث سم على ضفدع أنتن منك ! .

أغرب عن ناظري فإنك تؤذي عيني .

دوق غلوستر : أما عيناك ، يا سيدتي الجميلة ، فقد سحرتا عيني .

آن : وددت لو كانتا عين حيّة تقتلانك بسحرهما .

دوق غلوستر : وددت لو كانتا كذلك لأموت ميتة سريعة ، فإنهما الآن تسلباني كل معنى للحياة .
لقد استنزفت عيناك هاتان من مقلتيّ دموعاً مُرة ، وقرحت منهما الجفون بما سكبتا من قطرات غزيرة كدموع الأطفال ، مقلتاي اللّتان لم تسكبا من قبل دموع الأسف أبداً ، حتى حينما بكى والدي يورك وإدوار ، إذ سمعا أنين « روتلاند » الأليم ، بعد أن طعنه بالسيف « كليفورد » ذو الوجه المتجهّم . ولا حين روى والدك الشجاع حكاية ممات والدي المفجعة ، وقطع كلامه أكثر من مرة ليبكي وينتحب كالأطفال ، حتى بللت دموع الحاضرين وجناتهم كما يبلل المطر الأشجار ، ففي ذلك الوقت المليء بالحزن تذرف مقلتاي الأبيتان دمعة واحدة تنم عن الذلة والمسكنة .
ولكن جمالك قد استطاع أن يصيب ما

صعب على تلك الأتراح ، فغشت مقلتاي من كثرة البكاء . ومع أني لم أتوسل قط إلى عدو أو صديق ، ولم يعتد لساني أبداً أن ينطق بالكلام الحلو المعسول ، فإن جمالك قد حثني على الكلام ، وقلبي الأبيّ يحث لساني ويتوسل إليه أن يتكلم .

(تنظر إليه بازدراء)

لا تدربي شفتيك على هذا الازدراء ، يا سيدتي ، فقد خلقتا لا لمثل هذا الازدراء .

وإذا لم يقدر فؤادك الحريص على الانتقام أن يعفو . فهأنذا أقدم إليك هذا الحسام الباتر لتغمديه إن شئت في صدري الوفي ، وتزهقي روحي التي تعبدك . إني كشفت عنه للضربة المميتة ، وأتوسل إليك جاثياً أن تقتليني .

(يكشف عن صدره فتشهر سيفه نحوه)

لا ، لا تتراجعي فإني حقيقة قد قتلت الملك هنري ، وإن كان جمالك هو الذي دفعني إلى ذلك فهيا ، افعلي ، فأنا الذي طعنت إدوار الشاب وإن كان وجهك النوراني هو الذي حفزني . خذي السيف

ثانية .. أو اتخذيني زوجاً .

آن : قف أيها المنافق فلن أكون أنا قاتلتك ، وإن تمنيت لك الموت .

(تسقط السيف من يدها)

دوق غلوستر : إذن مريني أن أقتل نفسي فأفعل .

آن : سبق أن أمرتك بهذا .

دوق غلوستر : لقد كان ذلك في سورة غضبك . ولكن انطقي بها مرة أخرى ، وعندئذ تقتل هذه اليد في سبيل حبك حباً أشد وفاء من ذلك الحب الذي صرعته من أجل حبك ، وستكونين السبب في مقتلهما .

آن : وددت لو عرفت قلبك ! .

دوق غلوستر : إن رسمه على لساني .

آن : أخاف أن يكون كلاهما زائفاً .

دوق غلوستر : إذن فلن يكون على متن الأرض لسان وفي

آن : مهلاً ، مهلاً وضع حسامك في غمده .

دوق غلوستر : قولي إذن إن السلام قد عاد ليخيّم بيننا .

آن : ستعلم ذلك لاحقاً .

دوق غلوستر : ولكن أيمكنني أن أعيش على أمل .

آن : كل الرجال فيما أعتقد أظن يعيشون عليه .

دوق غلوستر : تعطفي والبسي هذا الخاتم .

آن : إن الأخذ لا يعني العطاء .

(تضع الخاتم في إصبعها)

دوق غلوستر : انظري كيف يطوق هذا الخاتم أنملك كما يطبق صدرك على فؤادي المسكين .
خذيهما كليهما فكلاهما لك .
وإذا أذنت لعبدك الضارع المسكين أن يسأل يدك الحانية معروفاً واحداً ،
فستوثقين سعادته إلى الأزل .

آن : وما هو؟ .

دوق غلوستر : أن تتفضلي فتتخلي عن مهمتك الأليمة ،
لذلك الذي يستحق الحزن أكثر منك .
وتعودي بالحال إلى قصر «كروسبي»
حيث أوافيك بأسرع ما أتمكن لأراك ،
بعد أن أكون قد دفنت هذا الملك النبيل
في دير «تشرتسي» وبللت قبره بدموع الندم .
أتوسل إليك أن تصنعي هذا المعروف وإن لم تعلمي دوافعه الخفية الكثيرة .

آن : من كل قلبي ! وإنه ليفرحني كل الفرح أن أرى مبلغ ندمك .
فلترافقاني يا ترسيل وبرليلاي .

دوق غلوستر : قولي لي كلمة وداع .

ان : إنها لأكثر مما تستحق ، أما وأنت تعرفني كيف أتملقك .

(تخرج آن يتبعها ترسيل وبرليلاي)

فتخيل أني قلت لك «إلى اللقاء» .

دوق غلوستر : احملوا الجثمان أيها السادة إلى «تشرتسي» .

رجل من حملة الرماح : إلى «تشرتسي» أيها اللورد النبيل؟

دوق غلوستر : كلا، بل إلى هوايت فرايزر. وهناك انتظروا قدومي .

(يحملون الجثمان ويذهبون)

هل رأى أحد امرأة قط سأل حبها رجل
على هذا الشكل؟
وهل رأى أحد قط امرأة نجح باستمالتها
رجل على هذا الشكل؟
سأظفر بها غير أنني لن أحتفظ بها طويلاً .
ماذا!! آآخذها ـ أنا الذي صرع زوجها
ووالده ـ بكل ما في قلبها من غلٍ دفين،
وما على لسانها من لعنات وما في عيونها
من دموع، وكأنها دماء تشهد على ما

تضمر لي من كراهية؟ وهذه السدود ـ هي، والله، وضميرها ـ تقف بيننا، وليس لي قط من مساعد ،في توددي إليها، غير إبليس البشع، ونظرات التملق. أفوز بها رغم كل ذلك. ! والظروف مجتمعة تقف قبالتي .

يا للعجب!

ـ أتراها قد نسيت إدوار، ذلك الأمير الباسل، زوجها الذي طعنته في سورة غضبي في توكسبري، منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر؟ ذلك السيد الجميل الحسن الصفات، الذي لن تستطيع الدنيا على سعتها أن تتكرم بمثله. لما أغدقت عليه الطبيعة من هباتها. شاب، باسل، عاقل، ذو صفات ملكية أصيلة لا ريب فيها .

أتستطيع بعد ذلك أن تدنس عينيها برؤياي، أنا الذي هصر شباب هذا الأمير الجميل في ريعانه وجعلها أرملة لفراش كئيب مكلوم .

أتقع عيناها علي أنا الذي لا يعادل، بأكمله، نصف إدوار! عليَّ أنا الأعرج المشوه بصورتي هذه!

ولكن يظهر أنني قد انتقصت من قيمة

نفسي طيلة هذا الوقت، وهذا ما أراهن عليه بدوقيتين نظير فلس واحد .

ولا شك أنها تراني رجلاً جميلاً حقاً، فإن لم أقدر أن أرى أنا ذلك، فلأتحمل ثمن مرآة اشتريها، ولأستخدم عشرين أو أربعين خياطاً ليصنعوا من الأزياء ما يزدان به جسدي . وما دمت قد رضيت عن ذاتي فلأبذل قليلاً ثمناً لهذا الرضا .

ولكن لا بد لي أن أدفن هذا الرجل في قبره أولاً، ثم أرتد ناحباً إلى حبيبتي . فلتشرقي أيتها الشمس الجميلة حتى أبتاع مرآة أشاهد فيها رسمي كلما سرتُ !

(يخرج)

المشهد الثالث

لندن ـ القصر

(تدخل الملكة اليزابيت واللورد رفيرز واللورد غراي)

رفيرز : مهلاً سيدتي ، فلا ريب أن جلالة الملك سيستعيد سريعاً ما كان عليه من صحة .

غراي : إن خوفك عليه يزيد من سقمه ، أستحلفك بالله هلا هدأت نفساً ، وأدخلت البهجة إلى قلب جلالته ، بإقبالك عليه باسمة الفم قريرة العين .

الملكة اليزابيت : ماذا سيكون مصيري لو مات ؟ .

غراي : لن ينالك ضرر غير فقد ذلك السيد الجليل .

الملكة اليزابيت : إن في افتقاد ذلك السيد كل الضرر .

غراي : لقد حباك الله ولداً باراً ، يعزيك عن فقدانه .

الملكة اليزابيت : أواه ، إنه ما زال صغيراً ، وسيكفله ريتشارد غلوستر ، وهو رجل لا يودني ، ولا يودّ أحداً منكما .

رفيرز : هل قر الرأي على أن يكفله .

الملكة : هذا ما انعقدت النية عليه ، وإن كان لم يتقرر بعد ، وهو ما لا بد أن يكون إن أصاب الملك سوء .

(يدخل بكنغهام وستانلي أرل ديربي)

غراي : ها قد أتى لورد بكنغهام ولورد ديربي .

بكنغهام : طاب وقتك يا صاحبة الجلالة .

ستانلي : أعاد الله إلى جلالتك مرحك السابق .

الملكة : إن الكونتس ريشموند ، يا عزيزي اللورد ديربي ، يصعب عليها أن تؤمن على دعائك الكريم . على أني أؤكد لك أنني لا أكنُّ لها بغضاً ، لا من أجل كبريائها أو صلفها ، رغم أنها زوجك وأنها لا تحبني .

بكنغهام : أتوسل إليك ، مخلصاً ، ألا تصدقي ما يفتريه عليها حسادها الكاذبون . وإن كان ما يبلغك عنها صحيحاً ، فاغفري لها زلتها ، التي دافعها سقمها الذي يجعلها متقلبة الأطوار ، ولا ترجع إلى شر متأصل في نفسها .

رفيرز : أإلتقيت الملك اليوم يا سيدي اللورد ديربي ؟ .

ستانلي : الآن حالاً قد رجعنا ، أنا والدوق بكنغهام ، من لدن جلالته .

الملكة اليزابيت : إلى أي حد تأملان في إبلاله ، أيها اللوردان ؟ .

بكنغهام : أملاً كبيراً يا سيدتي . إن جلالته يتحدث في مرح وسرور .

الملكة : كتب الله له الشفاء ! هل تكلمتما وإياه ؟ .

بكنغهام : نعم يا سيدتي . وهو يود في أن يصلح بين دوق غلوستر وبين أشقائك ، وبينهم وبين اللورد ، كبير أمناء القصر ، وقد أرسل يطلبهم إلى حضرته .

الملكة : وددت لو انتهى كل شيء إلى خير . ولكن ذلك لن يكون ، فإني أخاف أن تكون سعادتنا قد بلغت منتهاها .

(يـدخـل دوق غلوسـتـر وهستينكز)

دوق غلوستر : إنهم يؤذونني ولن أحتمل أذاهم . من هم هؤلاء الذين يتقدمون بالشكاوى إلى الملك ؟ إني قاس ، وإني لا أحبهم ؟ . وحق القديس « بولس » إنهم لا يحبون جلالته إلا حباً قليلاً ، أولئك الذين

يملأون أذنيه بتلك الأقاويل التي تبعد بين الأفئدة . ألأني لا أتقن التملق ، ولا التظرف ، ولا أواجه الرجال بالابتسام ، ولا أداهن ، أو أخادع ، أو أغش ، ولا أنحني انحناءات الفرنسيين ، وأتودد تودد السعادين والقردة ، ألهذا أتخذ عدواً لدوداً ؟ .
ألا يتمكن رجل صريح أن يحيا دون أن يضمر سوءاً؟ .
أليس من بد إلا أن يشوه حقيقته الناصعة المنحطون والمخنثون والماكرون والمراؤون ؟ .

غراي : إلى من تتوجهون فخامتكم بالكلام من بين هذه الجماعة ؟ .

دوق غلوستر : إليك أنت يا فاقد الشرف والفضيلة ، متى آذيتك ، متى أثمت بحقك ؟ بحقك أنت ؟ أو أي فرد من عصبتكم ؟ جميعاً ! إن جلالة الملك ، الذي تحوطه رعاية أكثر مما ترجون له ، لا يكاد ينعم بالسكينة لحظة ، حتى تزعجوه بشكاواكم الدنيئة .

الملكة أليزابيت : أخي غلوستر ، لقد أخطأت فهم الموضوع. لقد أوفد إليك الملك

إرادته الملكية المحضة ولم يحرضه أحد . ولعله قد تنبه إلى حقدك الدفين ، ذلك الذي تفضحه أفعالك المكشوفة ، ضدي وضد أولادي وأشقائي .. ولعله بدعوتك يعلم أسباب ودوافع ذلك الحقد ، ويقضي عليه .

دوق غلوستر : لست أدري ، فإن الدنيا قد ساء أمرها ، حتى صارت العصافير تقتنص صيدها من قمم لا تجرؤ النسور أن ترتفع إليها . وما دام كل حقير قد أصبح سيداً ، فإن كثيراً من السادة قد أصبحوا حقيرين .

الملكة أليزابيت : مهلاً ، مهلاً ! إني أعلم ما ترمي إليه ، يا أخي غلوستر ، إنك تحسدني ، أنا وأصدقائي ، لما ننال من علو مكانة . لذلك أطلب من الله ألا يحوجنا إليك أبداً .

دوق غلوستر : وأنا أسأل الله ، كذلك ، ألا يوقعني في مشكلة تحوجني إليك . فلقد كنت السبب في سجن أخي ، وفيما وصم بي من عار ، *وما أصاب الأشراف من مهانة* ، على حين تجزل العطايا الثمينة كل يوم لترفع إلى مرتبة الأشراف أولئك الذين لم يكن لديهم قبل يومين اثنين ما يجعلهم

جديرين بهذا اللقب .

الملكة أليزابيت : أحلف بالذي رفعني من منزلتي ، التي كنت راضية بها مقتنعة ، إلى تلك القمة المحفوفة بالمخاوف ، أني ما أوغرت جلالته أبداً على دوق كلرنس ، بل لقد جربت دائماً وبكل قواي أن أشفع له عنده . إنك تسيء إليّ أيها السيد إساءة مخزية بإثارتك حولي هذه الشكوك الدنيئة زوراً وبهتاناً .

دوق غلوستر : لعلك تنكرين أنك كنت السبب مؤخراً بإيداع اللورد هستينكز في السجن .

رفيرز : من حقها أن تنكر يا سيدي اللورد فإن . . .

دوق غلوستر : من حقها أن تنكر يا لورد رفيرز ، ولا يجهل هذا أحد . بمقدورها يا سيدي أن تصل إلى أبعد من إنكار ذلك ، فتآزرك في الوصول إلى منافع مجزية ، ثم تنكر بعد ذلك أنها ساعدتك ، وتنسب ما نلته من شرف إلى مواهبك الفذة . أي شيء هذا الذي لا تقدر عليه ؟ إنها تقدر . . أجل وأيم الحق إنها لتقدر .

رفيرز : ما الذي تقدر عليه بالله عليك ؟ .

غلوستر : على ماذا تقدر بالله ! إنها تقدر على أن تقترن بملك ، ملك أعزب جميل في ريعان الصبا : ولا ريب أن زواج جدتك كان أسوأ .

الملكة أليزابيت : لقد صبرت يا سيدي اللورد غلوستر ! أطول مما يجب على إهاناتك الوقحة ، وسخرياتك المرة . ووالله لأخبرن جلالته بما احتملت من إساءات بالغة . فإني لأفضل أن أكون خادماً ريفية على أن أكون ملكة عظيمة على هذه الحال ، أهان وأزدرى وأهاجم بهذه الطريقة .

(تدخل الملكة مارغريت وتقف إلى الخلف)

إني لم ألقى في إعتلائي عرش إنكلترا إلا قليلاً من السعادة .

الملكة مارغريت: ربِّ زد ذلك القليل قلة ! إن منزلتك وملكك وعرشك كلها من حقي .

بوق غلوستر : ماذا ! أتهددينني بإبلاغ الملك ؟ . أبلغيه ولا تكتمي عنه شيئاً ! اسمعي : إني سأعترف أمام الملك بكل ما فهت به ، وأخاطر بالذهاب إلى القلعة ، لقد آن لي أن أتكلم ما دامت جهودي قد نسيت كل هذا النسيان .

الملكة مارغريت: اذهب أيها الشيطان ! إني لا زلت أذكر

جهودك حق الذكر . لقد قتلت زوجي
هنري في القلعة وابني إدوار البائس في
« توكسبري » .

دوق غلوستر : لقد كنتُ ـ قبل أن تصبحي ملكة بل قبل
أن يصير زوجك ملكاً ـ مطيةً له في أخطر
أموره. أحصد أعداءه الأشداء حصداً،
وأجازي أصدقاءه بكرم. ولقد أرقت دمي
لأجعل من دمه دماً ملكياً .

الملكة مارغريت: نعم ، وأرقت دماً أزكى كثيراً من دمه
ودمك ! .

دوق غلوستر : بينما كنت طوال ذلك الوقت أنت وزوجك
غراي مساعدين لبيت لانكستر .
وكذلك كنت يا رفيرز ، ألم يُصرع زوجك
في معركة مارغريت في سانت أولبن ؟
دعيني أذكرك ـ إن كنت قد نسيت ـ بما
كنت قبلاً وما أنت عليه حالياً ، ثم بما كنته
أنا وما أنا عليه الآن .

الملكة مارغريت: كنت نذلاً قاتلاً وما زلت كذلك ! .

دوق غلوستر : لقد خذل كلرنس المسكين والده وريك ،
نعم ، وحنث بيمينه ، سامحه الله ! .

الملكة مارغريت: أخذه الله بحنثه ! .

دوق غلوستر : ليحارب إلى جانب إدوار في سبيل التاج

وكان لهذا اللورد المسكين من ذلك أن
حصد نفسه ، وددت لو آتاني الله قلباً
كقلب إدوار ، قدّ من صخر ، أو لو جعل
قلب إدوار رقيقاً رؤوفاً كقلبي . إنني ساذج
سليم النية كالطفل لا أصلح لهذه الحياة .

الملكة مارغريت: اذهب إلى الجحيم بعارك إذن وغادر هذه
الحياة ، فهناك دولتك أيها الشيطان اللعين
يا سيدي اللورد غلوستر ، لقد كنا في تلك
الأيام الصاخبة ، التي تذكرنا بها الآن
لتبرهن على أننا من الخصوم ، نتبع سيدنا
وملكنا الشرعي ، وكذلك ستتبعك إن
أصبحت ملكاً علينا .

دوق غلوستر : إن أصبحت ملكاً عليكم ! إني لأفضل أن
أكون بائعاً جوالاً . إن التفكير في ذلك
لأبعد ما يكون عن نفسي .

الملكة أليزابيت : إن كنت تظن أيها السيد ، أنك لن تحظى
بقليل من السعادة إن أصبحت ملكاً على
هذه البلاد ، فحري بك أن ترى قلة
بهجتي وأنا ملكة عليها .

الملكة مارغريت: إن نصيب ملكة هذه البلاد من السعادة
نصيب ضئيل ، فإنني أنا هي ـ بائسة كل
البؤس . إنني لم أعد أطيق صبراً .

(تتقدم نحوهم)

اسمعوني أيها القراصنة المتخاصمون يا
من تختلفون حول اقتسام ما اغتصبتموه
مني ! من منكم لا يرتعد حين ينظر
إلي ؟ .
إن كنتم لا تنحنون كالرعية لأنني لم أعد
ملكة ، فإنكم مع ذلك ترتعدون كالمارقين
لأنكم خلعتموني ! .
أيها النذل الرعديد ، لا تشح بوجهك
عني .

دوق غلوستر : أيتها العجوز الدنسة المجعدة الأسارير ،
ما الذي أتى بك إلى هنا ؟ .

الملكة مارغريت: لا شيء ، إلا لأحصي ما اقترفت من
ذنوب وبعدها أدعك لشأنك .

دوق غلوستر : ألم يحكم عليك النفي وإن رجعت كان
جزاؤك الموت ؟ .

الملكة مارغريت: بلى ،لكني أجد في النفي ألماً لا أجده في
موتي بالمكوث هنا . إنك مدين لي بزوج
وولد . وأنت بمملكة !

أيها الحلفاء جميعاً إن ما أكابده من شقاء
لهو من نصيبكم ، حقاً وعدلاً ، أما جميع
ما تنعمون به من أفراح فهو من نصيبي .

دوق غلوستر : تلك هي اللعنة التي استنزلها عليك والدي

النبيل حينما كلّلت جبينه الباسل بالورق ،
وأسلت الدموع أنهاراً من عينيه بإهاناتك ،
ثم أعطيته لكي يمسحهما ـ منديلاً قد
غمس بالدم الزكي الذي فاض من
روتلاند الوسيم . إنها لعناته كلها قد
حقت عليك ، لعناته التي استنزلها عليك
بكل ما في روحه من مرارة . إن الله هو
الذي اقتص من فعلتك الدموية لا نحن .

الملكة أليزابيت : ما أنصف عدالة السماء فقد ثأرت
للأبرياء .

هستينكز : أجل والله ، لقد كان قتل ذلك الطفل فعلاً
دنساً لم يسمع بمثله من قبل ، بل لقد كان
أفظع ما سمعنا به من أعمال ! .

رفيرز : لقد بكى الطغاة أنفسهم حين سمعوا به .

دوريست : ما من أحد إلا تنبأ بالجزاء .

بكنغهام : لقد بكى « نورثمبرلاند » وكان موجوداً ـ
حين رآه .

الملكة مارغريت: عجباً ! أبعد أن كان كل منكم قبيل
حضوري يكشر عن نابه لأخيه متحفزاً
لينقض على عنقه ، تتحولون بكل
كراهيتكم إلي ؟ .
هل استجابت السماء كل هذه الاستجابة

للعنة يورك الرهيبة ، حتى تكفر عن
مصرع ذلك الولد التافه بموت هنري
وموت إدوار الحبيب وضياع ملكهما ونفيي
المؤلم ، أوَتقدر اللعنات أن تخترق
السحب وتنفذ إلى السماء ؟ إذن فافسحي
السبيل أيتها الغيوم الكئيبة للعناتي
المضطربة !
فليمت ملكك بالتخمة إذا لم يمت
بالوغى ، كما مات ملكنا غيلة لكي يصبح
هو ملكاً !
وليمت ولدك إدوار ، الذي هو الآن أمير
ويلز ، قصاصاً لولدي الذي كان أمير
ويلز ، وليمت في شبابه ميتة شنيعة مبكرة
كما مات ولدي !
وليقتص منك ، أنت الملكة ، لي أنا التي
كانت ملكة ، وتحبين بعد أن يموت مجدك
مثلي أنا المسكينة ويمتد بك الأجل لتبكي
فقد أولادك ، وتري ، كما أرى أنا الآن ،
امرأة أخرى تستمتع بحقوقك كما
تستمتعين الآن بحقوقي !
ولتمت سعادتك قبل موتك بوقت طويل ،
وبعد زمن مديد من الحزن والأسى .
فلتموتي وأنت لا أم ولا زوجة ولا ملكة
لإنكلترا!

أيا رفيرز ودوريست ، وأنت يا لورد هستينكز لقد كنتم شهوداً حين طعنت الخناجر الدامية ولدي . فالله أسأل ألا يحيا أحدكم أيامه كاملة ، بل تنتقص عمره فجاءات الحوادث .

دوق غلوستر : إنتهيت من تعاويذك أيتها العجوز الذاوية الكريهة ؟ .

الملكة مارغريت: أو أعفيك من اللعنة ؟ تمهل أيها الكلب لتسمع ما أقول :

إن كانت السماء تدّخر من نكباتنا الأليمة ما أرجوه لك ، فلتحتفظ بها حتى تنضج جرائمك ، ثم لترمي حينئذ بسخطها عليك يا من يعكر هناء هذه الحياة البائسة .

ولتستمر وخزات الضمير تحز في نفسك ، ولتظن بأصدقائك الخيانة في حياتك ، ولتتخذ أعز خلانك من الخونة العريقين ، وليهجر النوم عينيك البشعتين ، إلا حين يروعك حلم مرعب بجحيم من الشياطين المشوهة أنت أيها المسخ المشؤوم ، أيها الخنزير النهم ، يا من كتب عليه منذ ولادته أن يكون وضيع الأخلاق شريراً ، من أبناء الجحيم ، وخزياً لرحم والدته

الحزين . أيها النسل الذي يزدريه صلب والده ، يا خرقة الشرف البالية ، أيها البغيض المكروه!

دوق غلوستر : مارغريت !

الملكة مارغريت: ريتشارد !

دوق غلوستر : لبيك !

الملكة مارغريت: لست أدعوك .

دوق غلوستر : معذرة ، فقد ظننت إنك دعوتني بكل تلك الأسماء المريرة ! .

الملكة مارغريت: نعم لقد دعوتك ، ولكني لم أنتظر منك رداً . . فلتتركني أتمّ لعنتي !

دوق غلوستر : لقد أنهيتها أنا بقولي : مارغريت .

الملكة أليزابيت : وهكذا استنزلت لعنتك على نفسك .

الملكة مارغريت: أيتها الملكة الزائفة ، يا مظهراً خاوياً لما كان عليه عزّي ، لماذا تنثرين شهدك على هذا العنكبوت المتضخم بالسم هذا الذي يلفك بشباكه القاتلة ؟ .
بلهاء ، بلهاء ! إنك تشحذين سكيناً تقتلين بها نفسك ، وسيأتي يوم تطلبين فيه مني أن أستنزل معك اللعنات على تلك الضفدعة السامة الحدباء .

هستينكز : أيتها العرافة الكاذبة ، كفّي عن لعناتك

المحمومة ، وإلا ضاق بك صبرنا فآذيناك .

الملكة مارغريت: خزياً لك ! لقد ضاق بك صبري .

رفيرز : لو كنت قد عوملت بما أنت أهل له لتعلمت الأدب .

الملكة مارغريت: لو عوملت بما أنا أهل له لأبديتم تجاهي ما يجب من أدب ، ولاعتبرتموني ملكتكم واعتبرتم أنفسكم رعاياي . ألا فلتعاملوني بما أستحق ، ولتعلموا واجبكم ! .

دوريست : لا تجادلوها فإنها مجنونة .

الملكة مارغريت: مهلك أيها السيد المركيز لا تكن وقحاً . إن الناس ما كادوا يألفون لقبك الجديد هذا .وددت لو استطعت أيها النبيل الجديد أن تقدر كيف يكون حزنك لو فقدته ! إن من يقفون على القمة يتعرضون لكثير من العواصف التي تهزهم ، فإذا ما هوَوا تمزقوا إرباً ! .

دوق غلوستر : تلك حكمة جميلة والله ـ فاحفظها ـ احفظها أيها المركيز .

دوريست : إنها تعنيك يا سيدي بقدر ما تعنيني .

دوق غلوستر : أجمل وأكثر مما تعنيك . ولكنني أقف على القمة منذ ولادتي ، فعشنا العالي قد

بنى على قمة شجر الأرز ، يعبث بالريح ويستخف بالشمس .

الملكة مارغريت: ويحيل نور الشمس إلى عتمة ، واحسرتاه ، واحسرتاه إن شمس ولدي الآن في عتمة الموت ! بعد أن طوى الحقد أشعتها المنتشرة المشرقة في ظلام أبدي . إن عشكم العالي يقوم مكان عشنا العالي . ربٌ إنك تراه ، فلا تغفل عنه نقمتك ، وكما ربحوه بالدماء ، فليضيعوه بالدماء !

دوق غلوستر : حسبك ، حسبك ! إن لم يكن رحمة بي فخزياً منك .

الملكة مارغريت: لا تحثني على رحمة أو خزي ، فقد عاملتني بغير رحمة ، واغتلت آمالي بكل خزي ، حتى أصبحت رحمتي غضباً وحياتي خزياً ، وفي الخزي ما زالت صورة حزني تحيا ! .

بكنغهام : كفى . . كفى !

الملكة مارغريت: أي أميري بكنغهام ، سألثم يدك ، ليكون ذلك شاهداً على ولائي وصداقتي لك : فلتكتب السعادة لك ولبيتك النبيل ، فإن ثيابك لم تلطخ بدمائنا ، ولعنتي لم تلحق بك .

بكنغهام : ولا لحقت بأحد من الموجودين ، فإن اللعنات لا تمضي أبداً إلى أبعد من شفاه من ينفثونها في الهواء .

الملكة مارغريت: لست أصدق إلا بأنها تصعد إلى السماء ، فتعكر صفو أمنها وسلامها .

(بينها وبينه)

يا بكنغهام انتبه من ذلك الكلب ! إحترس منه فهو يعض حين يتملق ، وحين يعض يخلف نابه المسموم قرحة قاتلة . اقطع صلتك به ، حذار منه ، فقد تركت الخطيئة والموت والجحيم بصماتها عليه ، وقامت على خدمته كل أبالستها .

دوق غلوستر : ماذا تقول يا سيدي اللورد بكنغهام ؟ .

بكنغهام : لا شيء ذي بال يا سيدي الكريم .

الملكة مارغريت: ماذا ! أتستخف بي لما أسديت إليك من نصح رقيق ؟ وتتملق ذلك الشيطان الذي حذرتك منه ؟ إذن فاذكر ذلك حين يأتي يوم ينفطر فيه قلبك من الأسى ، وإذ ذاك ستقول إن مارغريت المسكينة قد كشف عنها الحجاب . فليعش كل منكم عبداً لبغضائه ، وليعش هو هدفاً لبغضائكم ، ولتعيشوا جميعاً وقد حلت بكم بغضاء الله .

(تخرج)

هستينكز : إن شعرِي ليقفُ لسماع لعناتها .

رفيرز : وكذلك يقفّ شعرِي - إني لأعجب لماذا يدعونها حرة .

دوق غلوستر : لا أستطيع أن ألومها ، فبحق العذراء لقد عانت من الظلم أكثر مما يجب . وإني لأشعر بالندم لأنني شاركت في هذا الظلم .

الملكة أليزابيت : لا أدري أنني ظلمتها قط .

دوق غلوستر : ولكنك تنعمين بعاقبة ما أصابها من ظلم . لقد أخذتني الحمية في خدمة أحد الناس ، ولكنه الآن يذكر خدماتي في فتور . أما بخصوص كلرنس فبحق العذراء فلقد جوزي خير الجزاء ، وها هو ذا يسمَّن للذبح تقديراً لجهده ! غفر الله لمن كانوا سبب سجنه .

رفيرز : تلك نهاية حسنة تناسب شرائع المسيحية ، أن نسأل الصفح لمن أساء إلينا .

دوق غلوستر : إنه لأمر طبيعي (بينه وبين نفسه) وهو عين العقل ، فلو استنزلت اللعنة لكنت قد استنزلتها على نفسي .

(يدخل كتسباي)

كتسباي : مولاتي ، إن الملك يطلبك ويطلب فخامتك ويطلبكم يا سادتي اللوردات .

الملكة : أي كتسباي ، إني قادمة ، هلا أتيتم معي أيها السادة .

رفيرز : سنرافقك يا سيدتي .

(يخرجون جميعاً ما عدا غلوستر)

دوق غلوستر : إني أقترف الذنب وأبدأ بالشكوى ، وأتهم الآخرين بأشنع ما دبرت من شرور . فهأنذا أبكي لمصير كلرنس الذي رميته رمياً في دياجير السجن ، أمام هؤلاء السذج المخدوعين هستينكز ، وديربي ، وبكنغهام ، وأزعم أن الملكة ومناصروها هم الذين أثاروا الملك على شقيقي الدوق ، وها هم أولاء قد صدقوا قولي فهم يدفعونني لأثأر من رفيرز وفوهان وغواي ولكني أتحسر وأسوق لهم نصاً من الكتاب المقدس بأن الله يوصينا بأن نجزي بالشر خيراً . وهكذا أستر شري العلني بخرق أسلبها من الكتاب المقدس ، فأبدو كالقديس وأنا أمضي في لعب دور الشيطان!

(يدخل قاتلان)

ولكن مهلاً ! هذان هما القاتلان . يا صديقيّ الشديدين الجريئين المصممين أذاهبان أنتما لأداء تلك المهمة ؟ .

القاتل الأول : أجل يا مولاي ـ وقد أتينا لأخذ الإذن بالدخول إلى حيث يقطن .

دوق غلوستر : أحسنتما التدبير ، إنه معي هنا ، عندما تنتهيان اذهبا إلى قصر « كروسبي » .

(يعطيه الإذن)

ولكن عليكما أن تعجلا بقتله أيها السيدان ، وأن تكونا مصممين فلا تنصتا إلى توسلاته فإن كلرنس ماهر بالحديث ، وربما استطاع أن يرق قلباكما إن أنتما أنصتما إلى كلامه .

القاتل الأول : هه ، اطمئن يا سيدي فلن نستمع إلى هرائه . إن أصحاب الكلام لا يتقنون العمل ، وثق أننا أتينا لنستخدم أيدينا لا لساننا .

دوق غلوستر : إن عيونكما لا تذرف إلا الصخر حين تذرف مقل البلهاء دموعاً ، إني معجب بكما أيها الفتيان فامضيا إلى عملكما ولا تلويا على شيء اذهبا ، اذهبا ـ وعجلاً .

القاتل الأول : سنذهب يا سيدي .

(يخرجان)

المشهد الرابع

(لندن ـ القلعة)

(يدخل كلرنس وبراكينبري)

براكينبري : لم تبدو اليوم يا صاحب العظمة ، مكتئب النفس كل هذا الاكتئاب ؟ .

كلرنس : آه ! لقد أمضيت ليلة نكراء مليئة بالرؤى المرعبة والأحلام المروعة ، حتى لقد وددت ، وأنا المسيحي الورع ، ألا أقضي ليلة مثلها ، ولو اشتريت بها دنيا من الأيام البهيجة ما كان أهولها من ليلة مخيفة!

براكينبري : ماذا رأيت ، يا صاحب العظمة ، في منامك ؟ .

كلرنس : أرجو أن تحكيه لي .

كلرنس : خيل إليَّ أني قد فررت من القلعة وركبت باخرة لأعبر إلى برغندي ، وكان برفقتي شقيقي غلوستر ، فأغراني أن أخرج من حجرتي وأسير على متن الباخرة ، وهنا أتجهنا بأبصارنا إلى إنكلترا ، ورحنا نتذكر الآلاف من اللحظات المرعبة التي مرت

بنا أثناء الحرب بين آل يورك وآل لانكستر . وبينما كنا نسير على متن السفينة المتمايل خيل إليَّ أن غلوستر قد تعثر فدفعني في سقطته وأنا أحاول أن أقيله من عثرته ـ بعيداً عن السفينة إلى أمواج البحر الصاخبة . رباه ، رباه ! ما أهول أن يموت المرء غريقاً . وكم كان صوت الماء في أذني مرعباً وكم رأت مقلتاي من مشاهد الموت المنكرة ! لقد خيل إليَّ أني أنظر إلى ركام ألف باخرة ترعب النظر ، وإلى ألف رجل تنهش الأسماك لحومهم ، ورأيت قضباناً من الذهب ، ومراسي ضخمة ، وأكواماً من اللؤلؤ ، وأحجاراً كريمة ، وجواهر لا تقدر بثمن ، كلها قد انتثرت في قعر البحر ، وقد استقر بعضها في جماجم الأموات ، وإلى تلك الحفر التي كانت من قبل مقراً للعيون ، زحفت جواهر متألقة كأنما تهزأ من تلك العيون ، وتتطلع كالمحب الولهان إلى قاع اليم اللزج ، وتهزأ بعظام الموتى المبعثرة من حولها .

براكينبري : هل كان لديك سعة من الوقت ساعة الموت لتمعن النظر إلى خفايا البحر ؟ .

كلرنس : لقد توهمت ذلك . وكم حاولت أن ألفظ الروح ، ولكن العباب الحقود كان يبقيها ويمنعها من الانطلاق ، لتلتمس الهواء الخالي ، المنفسح ، الشارد وكان يخنقها في صدري اللاهث الذي كاد أن ينفجر ويرمي بها إلى أليم .

براكينبري : ألم يوقظك هذا العذاب الموجع ؟ .

كلرنس : أوه ! كلا ، فقد طال حلمي بعد أن تركت الحياة : وخيل إليَّ أن العاصفة بدأت تجتاح روحي ، التي دفعها ذلك التيار الكئيب ، لتعبر مع أولئك الملاحين ، ذوي الوجوه الكالحة ، إلى دولة الظلام السرمدي ، التي يصفها الشعراء . وكان أول من لقي روحي الغريبة هناك هو حماي العظيم وريك الشهير وعندها صاح : « أي جزاء لك الذي أدخرته دولة العتمة هذه لكلرنس الخائن » جزاء خيانته » ؟ ثم اختفى ، وعندئذٍ طاف بي خيال كالملك أشقر الشعر ملطخ بالدماء ، ونادى ، بصوتٍ حاد « لقد أتى كلرنس ، كلرنس المخاتل ، المتقلب ، الكذاب ، ذلك الذي طعنني في المعركة بالقرب من « توكسبري » خذيه يا آلهة الثأر ، وأذيقيه

العذاب ! » وخيل إليّ بعد قوله هذا أن طائفة من الأبالسة الخبيثة قد أحاطت بي ، وأخذت تعوي في أذني بصيحات كريهة هزّتني كل صيحة منها حتى استيقظت ، ولبثت بعدها وقتاً طويلاً أعتقد أني ما زلت في الجحيم ، وهكذا كان أثر ذلك الحلم المرعب ! .

براكينبري : لا عجب ، يا سيدي اللورد ، إن كان قد أرعبك فإني أظن أني أخاف لسماعك وأنت ترويه عليّ .

كلرنس : أي براكينبري ـ لقد أتيت هذه الفعال التي تدين الآن روحي من أجل إدوار ، فانظر كيف يكافئني ! .
رباه ، إن لم تتمكن صلواتي الحارة أن تمحو غضبك ، وإن كنت قد أردت أن تقتص مني لما اقترفت من ذنوب ، فأنزل غضبك عليّ وحدي وابق على زوجتي البريئة وأطفالي المساكين ! ـ أيها الحارس الرحيم ، سألتك أن تظل معي ، إن روحي مثقلة ، واشتهي أن أنام .

براكينبري : سأفعل يا سيدي اللورد : أعطى الله عظمتك راحة طيبة !

(ينام كلرنس)

إن الهم يعكس الأوقات ويقضّ ساعات
الارتياح ويجعل الليل صباحاً ، والظهيرة
ليلاً . ولا يملك الأمراء من مجدً إلا
ألقابهم . وليس لهم أمام ما يجدون في
نفوسهم من شقاء ؛ إلا مظاهر الشرف .
وهم في سعيهم وراء السعادة ، التي لا
ينعمون بها ، لا يجدون في كثير من
الأحوال ، إلا حشداً من الهموم
المضنية : فهم بألقابهم لا يفترقون عن
العامة ، إلا بما لهم من مظاهر العز
والمجد

(يدخل القاتلان)

القاتل الأول : عجباً ! من هناك ؟

براكينبري : من أنت بالله . وكيف أتيت إلى هنا ؟

القاتل الأول : أريد أن أتكلم إلى كلرنس ، وقد أتيت إلى هنا على قدميّ !

براكينبري : هل تتكلم بكل هذا الإيجاز ؟ .

القاتل الثاني : خير للإنسان يا سيدي ، أن يكون موجزاً من أن يكون مضجراً . أره إذننا ، ولا تتكلم بأكثر من هذا .

(يقرأه براكينبري)

اكينبري : إن هذا الإذن يأمرني ، أن أسلمكم دوق كلرنس ، ولن أناقش غاية هذا الأمر ، لأني لا أود أن تكون لي يد فيه . هاكما المفاتيح ، وها هو ذا الدوق راقد هناك . أما أنا فسأذهب إلى الملك ، فأبلغه بأنني قد أسلمت سجيني إليكما .

القاتل الأول : من الحكمة أن تفعل يا سيدي ، ومع السلامة .

(يخرج براكينبري)

القاتل الثاني : ماذا ! أأطعنه وهو راقد .

القاتل الأول : كلا ـ فإنه سيوصمنا حينئذٍ بالجبن حين يستفيق .

القاتل الثاني : حين يستيقظ ! إنه لن يفيق إلا يوم الحساب .

القاتل الأول : ويحك سيقول يوم الحساب إننا طعناه وهو راقد .

القاتل الثاني : إن كلمة « الحساب » قد أثارت في نفسي شيئاً من وخز الضمير .

القاتل الأول : ماذا ! أتهاب ؟

القاتل الثاني : لست أهاب قتله ومعي إذن به . ولكني

أهاب أن أذهب إلى الجحيم من أجله،
وهناك لن يحميني منها أي إذن .

القاتل الأول : ظننت أنك قوي العزم ! .

القاتل الثاني : نعم ، إني لقوي العزم إن أبقيت على حياته .

القاتل الأول : إذن أرجع إلى دوق غلوستر وأقول له هذا .

القاتل الثاني : طلبت منك أن تنتظر لحظة : فإني لأرجو أن تذهب عني هذه النزوة الحارة . لقد اعتدت ألا يهيمن عليَّ هذا الإحساس إلا بمقدار ما أعد إلى عشرين .

القاتل الأول : كيف تجدك الآن ؟ .

القاتل الثاني : عجباً ! ما زلت أشعر ببعض بقايا الضمير في داخلي .

القاتل الأول : تذكر مكافأتنا بعد أن ننتهي من مهمتنا .

القاتل الثاني : ليموتن والله ! لقد نسيت المكافأة .

القاتل الأول : وأين ضميرك الآن !

القاتل الثاني : عجباً ، إنه في كيس دوق غلوستر !

القاتل الأول : إذن فسيطير حين يفتح الدوق كيسه لينفحنا المكافأة .

القاتل الثاني : لا ضير ، اتركه يذهب ، فلن يأبه له إلا القلّة بل وقل إنه لن يأبه له أحد .

القاتل الأول : وكيف إذا عاودك مرة أخرى ؟

القاتل الثاني : لن يكون لي شأن به ؛ فهو يحيل المرء إلى مخلوق رعديد ، إن أراد أن يسرق أنبه ، وإن أراد أن يشتم منعه ، وإن أراد أن يزني مع زوجة جاره فضحه ، إنه روح حي خجول ، يتمرد في صدر المرء ويزحم دربه بالعقبات لقد جعلني مرة أعيد كيساً من الذهب عثرت عليه بالصدفة . إنه يفقر كل من يرعاه . إن أهل المدن والأمصار يطردونه ويعدونه شيئاً خطيراً ، وكل من يطمع في أن يعيش حياة رغيدة يحاول دائماً أن يعيش من دونه ، ولا ينصت إلا إلى صوت هواه وحده .

القاتل الأول : إنه في هذه اللحظة بقربي يحاول أن يثنيني عن قتل الدوق .

القاتل الثاني : فكر في الشيطان ولا تصدقه ، فإنه يتقرب إليك ثم يورثك الندم .

القاتل الأول : إني رجل قوي ، وأؤكد لك أنه لن يتمكن أن يقهرني .

القاتل الثاني : هذا كلام رجل باسل حريص على سمعته . هيا بنا . هلا فرغنا لذلك العمل ؟ .

القاتل الأول : اضربه على رأسه بقبضة حسامك ، ثم إرم به في برميل النبيذ . في الحجرة المجاورة .

القاتل الثاني : لنعم الرأي ! ولننقعه لينـادي « نبيذ النبيذ » .

القاتل الأول : رفقاً ! فإنه يستفيق !

القاتل الثاني : فلنضرب !

القاتل الأول : كلا فلنتناقش معه أولاً .

كلرنس : أين أنت أيها الحارس ؟ أعطني كوباً من النبيذ .

القاتل الثاني : ستشرب بعد برهة وجيزة كفايتك من النبيذ يا سيدي اللورد .

كلرنس : من تكون أنت بالله ؟ .

القاتل الثاني : رجل مثلك .

كلرنس : ولكنك لست مثلي من دم ملكي غير مشوب .

القاتل الثاني : وكذلك لست أنت مثلنا ، غاية في الوفاء .

كلرنس : إن صوتك كالرعد وإن كنت زريّاً في شكلك .

القاتل الثاني : إن صوتي الآن لهو صوت الملك . أما شكلي فهو شكلي أنا .

كلرنس : يا لكلامك إنه ليشيع فيه المنون والظلام !

إن عينيك تهددانني . لم تبدو هكذا شاحباً ؟ ومن أرسلك إلى هنا ؟ ولم أتيت؟.

الاثنان : من أجل . . من أجل . . .

كلرنس : لكي تقتلاني ؟

الاثنان : نعم ـ نعم .

كلرنس : إنكما لم تجدا في قلبيكما الجرأة لتخبراني إلا بشق الأنفس . وهكذا لن تجدا الجرأة لتقتلاني . بماذا أسأت إليكما أيها الصديقان ؟ .

القاتل الأول : لم تسء إلينا ، بل إلى الملك .

كلرنس : سيصلح الأمر بيني وبينه ثانية .

القاتل الثاني : أبداً يا سيدي . فاستعد للموت .

كلرنس : هل انتخبتما من بين الرجال جميعاً لتقتلا الأبرياء ؟ ماذا جنيت ؟ وأين الدليل على جرمي ؟ ومن هم أولائك المحلفون الذين أعلنوا قرارهم إلى القاضي العبوس ؟ أو من هو ذلك الذي أصدر هذا الحكم المرير بموت كلرنس المسكين . إن تهديدكما إياي بالموت قبل أن يدينني القانون أمر لا يسوغه القانون أبداً . لذلك أطلب إليكما بحق المسيح الغالي التي أريقت دماءه في سبيل خطايانا الجسيمة ، إن كنتما تطمعان في عفو الله ومغفرته أن

تذهبا ولا تمدا إليَّ يداً بشر! فإن العمل الذي تكفلتما به ملعون من الله .

القاتل الأول : إننا سنفعله لأننا أمرنا به .

القاتل الثاني : والذي أمرنا هو ملكنا .

كلرنس : أيها الرجلان الوضيعان الخاطئان ! إن ملك الملوك الأكبر قد أمر ، في لوح سنته ، ألا ترتكبا جريمة القتل . أتحبان إذن أن تزدريا أمره وتطيعا أمر إنسان ؟ حذار فإن الثأر في يديه يصبه على رؤوس من يخالفون سنته .

القاتل الثاني : وسيصب عليك هذا الثأر نفسه . لحنثك بعهدك ولما اقترفت أنت من جرائم قتل كذلك لقد أقسمت قسماً مقدساً أن تقاتل في سبيل آل « لانكستر » .

القاتل الأول : وقد حنثت بقسمك وخنت أمانة الله ، ومزقت بحسامك الخائن أحشاء ابن ملكك .

القاتل الثاني : الذي أقسمت أن تحبه وتحميه .

القاتل الأول : فكيف تتوعدنا بسنّه الله الصارمة وقد عصيتها على هذا الشكل الشائن ؟ .

كلرنس : واحسرتاه ! في سبيل من اقترفت ذلك الجرم ؟ في سبيل إدوار شقيقي ومن أجله هو . فكيف يمكن أيها السيدان أن يكون

قد أوفدكما لقتلي ؛ ونصيبه في ذلك الجرم لا يقل عن نصيبي ؟ ألا فاعلما أن الله ، إن كان سيثأر لتلك الفعلة فهو سيثأر علانية . فدعا الأمر في يده الجبارة ، فليس به من حاجة إلى تلك الوسائل الملتوية ، أو تلك السبل غير المشروعة ، ليقضي على من أثار غضبه .

القاتل الأول : فمن سمح لك إذن أن تكون رسول الموت ، حين أصبت بطعنتك القاتلة « بلانتاغنيت » ذلك الأمير الصغير الباسل والفارس الفتي في جماله المتفتح ؟ .

كلرنس : حبي لشقيقي ، والشيطان ، وسورة الغضب .

القاتل الأول : وكذلك أتى بنا لنقتلك محبتنا لشقيقك وواجبنا ، وخطيئتك .

كلرنس : إن كنتما تحبان شقيقي فما ينبغي لكما أن تكرهاني فإني شقيقه الذي يخلص له الحب إخلاصاً . وإن كنتما قد استؤجرتما بمال فعودا ، وسأبعث إلى شقيقي غلوستر ليجزيكما عن حياتي خيراً مما كان سيجزيكما إدوار عن موتي .

القاتل الثاني : أنت مخدوع ، فإن شقيقك غلوستر يضمر لك الكراهية .

كلرنس : آه ! كلا ـ إنه يحبني ويخلص لي الود . اذهبا من عندي إليه .

القاتلان : كذلك سنفعل .

كلرنس : وقولا له إن والدنا الأمير يورك حين بارك أولاده الثلاثة بيده الظافرة وسألنا ، من أعماق قلبه أن يحب بعضنا بعضاً ، لم يدر بخلده أنّه سيكون بيننا هذا الشقاق والجفاء . ذكِّرا غلوستر بهذا فسيذرف الدمع .

القاتل الأول : بل سيذرف « الصخر » كما أمرنا أن نذرفه بدل الدمع .

كلرنس : آه ، لا تتكلما عنه بسوء فإنه رؤوف رحيم .

القاتل الأول : رحيم كرحمة الثلج إذ يسقط أيام الحصاد . دع ما أنت فيه ؛ فإنك تخدع نفسك . ذلك هو الذي أوفدنا إلى هنا لنقتلك .

كلرنس : مستحيل ! لقد ضمني بين ذراعيه ساعة افترقنا وأقسم وهو ينتحب أن يبذل كل جهد لينجيني

القاتل الثاني : أجل ـ فهذا هو ما يفعله حين ينجيك من عبودية الحياة فتنطلق إلى سعادة السماء .

القاتل الأول : صلِّ لربك فإنك لا محالة ميت ، يا سيدي اللورد .

كلرنس : أتشعران هكذا بالورع وتنصحاني بأن أصلي لربي ثم تسهوان عن نفسيكما وتنسيان أنكما تخاصمان الله بقتلكما إياي ؟ أيها السيدان تدبرا أمركما فإن من أصدر إليكما الأمر باقتراف هذه الفعلة سيكرهكما من أجلها .

القاتل الثاني : وماذا يفعل ؟ .

كلرنس : كونا رؤوفين تنجيا نفسيكما من الضلال .

القاتل الأول : نرأف ! كلا ، إن هذا شأن الجبناء أو النسوة .

كلرنس : وألا ترحما شأن الوحوش والضواري والشياطين فمن منكما لو قدر له أن يكون ابن أمير محجوزاً على حريته ، كما هو حالي الآن ، ثم يأتيه قاتلان مثلكما ، لا يتوسل استنقاذاً لحياته ؟ إني لحري بي في هذه الحال أن أتوسل

(يخاطب القاتل الثاني)

يا صديقي - إني ألمح في نظراتك بعض الرأفة إن لم تكذبني عيناك . فتعال بقربي وتوسل من أجلي . الا يثير أمير في ذل السؤال ، رحمة السائلين ؟ .

القاتل الأول : أنظر خلفك يا سيدي اللورد !

(يطعنه)

القاتل الأول : خذ هذه وتلك (يطعنه) فإن لم تكفيا فسأغرقك في برميل النبيذ الذي هناك .

(يجر الجثمان إلى الخارج)

القاتل الثاني : يا لها من قتلة بشعة ارتكبناها بشناعة ! وددت لو غسلت يدي ـ كما فعل « بيلاطس » من تلك الجريمة البشعة النكراء !

(يعود القاتل الأول)

القاتل الأول : عجبي لك ! أنبئني ، كيف لم تعنّي ؟ والله ليعلمنّ الدوق بتقصيرك ! .

القاتل الثاني : وددت لو قد عرف أني خلّصت شقيقه ! خذ المكافأة أنت وانقل إليه ، أني نادم على قتل الدوق .

(يخرج)

القاتل الأول : أما أنا فلست كذلك ـ اذهب أيها الجبان ! والآن لا بدّ لي أن أواري جثته في حفرة ما حتى يأمر الدوق بدفنه ؛ وسأرحل بعد أن أقبض أجري فليس لي منذ الحين مقام في هذا البلد ، إذ لا بد أن ينكشف السر يوماً .

(يخرج)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(لندن ـ القصر)

(صوت أبواق ـ يدخل الملك أدوار المريض محمولاً على كرسي، ومعه الملكة أليزابيت ودوريس ورفيرز وهستينكز وبكنغهلم، وغراي وآخرون)

الملك إدوار : أما وقد أنهيت اليوم عملاً عظيماً، فلتحافظوا، أيها الأشراف، على هذه العروة الوثقي، فإني أنتظر، من يوم إلى آخر، موفداً من منقذي، ليخلصني من هذه الحيلة، والآن تقدر روحي أن تصعد بسلام إلى السماء، ما دمت قد أقمت السلام بين أصدقائي في الأرض. هستينكز ورفيرز، فليضغط كل منكما على يد الآخر. لا تداريا الكراهية بل أقسما مخلصين على المحبة.

رفيرز : تالله لقد بريء قلبي من كل غلّ أو حسد وهأنذا أختم بيدي على ما بقلبي من ود صادق.

هستينكز : وهأنذا أوثق عهدي مثله ، ليباركني الله ! .

الملك إدوار : حذارِ أن يكون ذلك عبثاً منكما أمام ملككما ؛ وإلا فضح ملك الملوك المتعالي كذبكما الخفي وكتب عليكما أن يهلك أحدكما صاحبه .

هستينكز : ذاك عهدي على المودة الخالصة وفقني الله !

رفيرز : وكذلك فليوفقني ما ظللت على محبة هستينكز !

الملك إدوار : مولاتي ، لست أستثنيك من هذا ، ولا ابنك دوريست ، ولا أستثنيك يا بكنغهام لقد كنتم أفرقاء متخاصمين . أي زوجي ، أخلصي الود للورد هستينكز واتركيه يلثم يدك، وليكن ذلك منك دون خديعة .

الملكة أليزابيت : إليك هستينكز ، ولن أذكر أبداً بعد اليوم كراهيتنا السابقة ، كتب الله لي ولقومي التوفيق ! .

الملك إدوار : دوريست ، ضمه إلى صدرك . أي هستينكز أخلص الود للمركيز .

دوريست : أحلف أني أنا لن أخون هذا الود

المشترك .

هستينكز : وكذلك أحلف بدوري يا سيدي اللورد .

(يتعانقان)

الملك إدوار : والآن أيها الأمير بكنغهام ، فلتعزز ولاءك بأن تعانق أنصار زوجي ، فتبهجني باتحادكم .

بكنغهام إلى الملكة : فليحل عقاب الله عليَّ إن حملت لك أو لقومك أي كراهية أو لم أبذل لك ولهم أصدق الود - أن أصبح مقيتاً إلى من هم أليق الناس بأن يحبوني فإذا ما كنت في أشد الحاجة إلى مآزرة صديق أثق ثقة كبيرة بصداقته فليجعله الله ماكراً مخاتلاً حقوداً . إن فتر حبي لك ولقومك .

(يتعانقان)

الملك إدوار : إن عهدك هذا ، أيها الأمير بكنغهام ، قد كان مقوياً منعشاً لقلبي العليل . وليس ينقصنا الآن ، ليكمل هذا السلام ، إلا شقيقي غلوستر .

بكنغهام : ها هو ذا الدوق قد أتى في اللحظة المناسبة .

(يدخل غلوستر)

غلوستر : طاب صباح مليكي ، وملكتي ، سعد

وقتكم أيها السادة الأشراف ! .

الملك إدوار : لقد كان يوماً سعيداً حقاً ، فعلنا به ، يا غلوستر ، كثيراً من الخير ، وجعلنا من الخصومة صلحاً ، ومن البغضاء وداً بين هؤلاء النبلاء الذين امتلأت نفوسهم بالغضب والشر .

غلوستر : ذلك جهد مشكور ، يا مليكي المعظم ، أما أنا ، فإن كان من بين هذه الجماعة من النبلاء أو أي أحد من الحضور من يراني عدواً لما بلغه عني من أنباء كاذبة ، أو ظنة من ظنون خاطئة ، أو كنت قد أسأت غير عامد أو في سورة الغضب ؛ إساءة يحملها لي أحدٌ هنا من الحضور ، فإني أود منه أن يعفو عما أتيت، فإني أمقت العداوة مقتي للموت ! وأرغب من الأخيار جميعاً كل حب . وأبدأ فأرجو منك الصلح يا مولاتي . وسأبتاعه بخدماتي المخلصة . ومنك يا ابن العم النبيل بكنغهام إن كان بيننا شيء من الحقد ومنكما أي لورد رفيرز ولورد غراي ، ومنكم جميعاً ، يا من نقموا عليَّ دون ذنب ، من الدوق والأرل واللورد والسيد ، منكم جميعاً ، فلست أعلم في نفسي أدنى خصام ، بيني

وبين أحد من أبناء هذا الوطن ، فما في نفسي إلا طفل ولد من يومه هذا ، وأحمد الله على ما حباني من تواضع .

الملكة أليزابيت : سيبقى هذا اليوم على مرّ الزمن يوماً مقدساً ، وإني لأسأل الله أن تكون كل هذه الضغائن قد ذهبت إلى غير رجعة ، وأتوسل إليك ، يا صاحب الجلالة ، أن تعفو عن شقيقنا كلرنس .

غلوستر : سيدتي ، هل بذلت لكم ودي لكي أحقر على هذا الشكل في حضرة الملك ؟ من ذا الذي لا يعلم أن الدوق النبيل قد مات ؟ .

(يفزعون جميعاً)

إنك تسيئين إليه إذ تسخرين من جثمانه .

رفيرز : من ذا الذي لا يعلم أنه مات ! ومن ذا الذي يعلم ذلك ؟ .

الملكة أليزابيت : يا علام الغيوب ، أي عالم هذا ؟ .

بكنغهام : هل يظهر عليَّ ما على الآخرين من شحوب ، أي لورد دوريست ؟ .

دوريست : نعم يا سيدي ، وما من أحد هنا إلا قد فرّ الدم من وجنتيه .

الملك إدوار : هل مات كلرنس ؟ لقد بدلت أمري فيه .

غلوستر : ولكن المسكين مات بأمرك الأول ، الذي حمله موفد مجنح كالمشتري ، أما التغيير فحمله كسيح كسول ، لم يصل إلا ليشهد دفنه . وقد قضى الله أن أناساً أقل نبلاً وولاء أقرب إلى سفك الدماء ، لا أقرب في الدم يستحقون ما لا يقل سوءاً عن مصير كلرنس . ومع ذلك بقوا بعيدين عن الشك .

(يدخل ديربي)

ديربي : مولاي ! إني أرجو منك معروفاً لقاء خدماتي .

الملك إدوار : أرجو أن تتركني لنفسي فإن روحي تفيض بالحزن .

ديربي : لن أقوم حتى تستمع إليَّ .

الملك : إذن فتكلم في الحال بما تريد .

ديربي : حياة خادمي يا مولاي ، إذ قتل اليوم رجلاً مشاكساً دخل في أتباع دوق نورفوك أخيراً .

الملك إدوار : أيقضي لساني على شقيقي بالموت ؛ ثم يعفو هذا اللسان نفسه عن عبد ؟ إن شقيقي لم يقتل أحداً ؛ كانت جريمته مجرد فكرة ، ومع ذلك كان الموت الزؤام

عقوبته ، من منكم شفع له لدي ؟ من منكم جثا عند قدمي وأنا في سورة غضبي وطلب مني أن أستمع إلى صوت العقل ؟ من منكم تكلم عن الأخوة ؟ من منكم تكلم عن الحب ؟ من منكم قال لي إن المسكين قد خذل وريك العظيم وقاتل من أجلي ؟ من منكم ذكرني بما حدث في معركة « توكسبري » حين رماني أكسفورد فخلصني ، وقال لي : « فلتحيا أيها الشقيق العزيز ولتكن ملكاً ! » من منكم ذكرني كيف غطاني بملابسه ، حين نام كلانا في ساحة المعركة ، ونحن على وشك الهلاك من الصقيع ، وعرّض نفسه ـ وهو عارٍ إلا من أقلّ الكساء ـ لبرد الليل القارس ؟ لقد نزع غضبي الوحشي المذنب كلٍ ذلك من ذاكرتي . ولم ألق منكم أحداً بلغ من النخوة ما يذكرني به . أما حين يرتكب سكّير من خدمكم أو أنصاركم ، جريمة قتل يلطخ بها ، صورة مخلصنا العزيز الغالية ؛ فإنكم تجثون في الحال سائلين العفو ، العفو ! وعليّ أن أهبكم هذا العفو ولو خالفت بذلك العدالة . أما من أجل شقيقي المسكين فما يتكلم أحد . وما تحدثت نفسي أنا ،

أنا ذلك الشرير ، من أجله . إن أعزكم
كبرياءً كان مديناً له في حياته ؛ ومع ذلك
فما من أحد منكم تشفع له إبقاءً على
حياته . رباه ! أخشى أن تنالني عدالتك ،
بل أن تنالكم وتنال عشيرتي وعشيرتكم
جزاء هذه الفعلة ! إليَّ يا هستينكز
وساعدني على بلوغ حجرتي . واأسفاه
أيْ كلرنس المسكين ! .

غلوستر : تلك ثمرة الاندفاع . ألم تلحظوا كيف بدا
الشحوب على أنسباء الملكة الآثمين حين
سمعوا بموت كلرنس ؟ طالما حرضوا
الملك على ذلك ، ولكن الله سينتقم له .
أما الآن فهيا بنا أيها السادة لنسري
بصحبتنا عن إدوار .

بكنغهام : سنذهب مع فخامتك .

(يتبعونه)

المشهد الثاني

(القصر)

(تدخل دوقة يورك العجوز مع طفلي كلرنس)

الفتى : أنبئيني يا جدتي الكريمة ، هل مات والدنا ؟ .

الدوقة : كلا يا ولديّ .

الفتاة : لماذا إذن تستسلمين للبكاء طويلاً ، وتدقين صدرك وتصيحين : « أي كلرنس يا ولدي الشقي ! » .

الفتى : ولماذا تنظرين إلينا وتهزين رأسك ، وتنعتيننا باليتيمين المسكينين المنبوذين ، إن كان والدنا الكريم لم يلق حتفه ؟ .

الدوقة : يا حفيدي الجميلين ، إنكما تسيئان فهمي ، إني أبكي لاعتلال الملك الذي أكره أن أفقده . ولا أبكي لموت والدكما . فالحزن علي مَنْ فُقِد حزنٌ ضائع .

الفتى : إذن فأنت يا جدتي تعترفين بأنه قد مات ! إن عمي الملك ، هو المسؤول عن موته

وسينتقم الله له ، وسأبتهل إليه كل يوم في صلواتي أن يفعل .

الفتاة : وسأبتهل إليه أنا أيضاً .

الدوقة : اهدءا يا ولديّ ، اهدءا إن الملك يحبكما حقًّاً أيها البريئان الطيبان الساذجان ، إنكما لا تتمكنان أن تتوهما من المسؤول عن موت والدكما .

الفتى : نقدر يا جدتي . فقد أنبأني عمي العزيز ، غلوستر ، أن الملك اختلق له ، بتحريض من الملكة ، ذنوباً لكي يزج به في السجن . وقد بكى عمي حين أنبأني بهذا ، وأخذني بين ذراعيه ، وقبّل خدي بحنان ، وطلب مني أن أعتمد عليه ، وأن أعده أباً لي ، وقال إنه سيحبني كما لو كنت ولده .

الدوقة : واحسرتاه كيف يتخذ المكر هذا المظهر الرحيم ، وتستتر الضغينة الدنسة تحت قناع من الفضل ! أجل إنه ولدي ، وذلك هو حزني ، ولكنه لم يرضع هذا المكر من ثديي .

الفتى : أتظنين يا جدتي أن ذلك كان مكراً من عمي ؟ .

الدوقة : أجل يا ولدي .

الفتى : لا أستطيع أن أصدق . أنصتي ! ما هذا الصوت ؟ .

(تدخل الملكة وشعرها مرسل إلى أذنيها وخلفها رفيرز ودوريست)

الملكة : أواه ! من ذا الذي يستطيع الآن أن يوقفني عن البكاء والنحيب وعن أن أندب حظي وأنزل بنفسي العذاب ؟ سأجعل القنوط القاتل حليفي بما فيه من هلاك روحي ، وأناصب نفسي العداوة .

الدوقة : ما سر هذا المنظر الجزع الصارخ ؟ .

الملكة أليزابيت : أود أن أفعل أمراً مريعاً لقد توفي مولاي إدوار ملكنا وزوجي وولدك . كيف تكبر الأفنان بعد أن يبست الجذور ؟ وكيف لا تذوي الأوراق وقد جفاها ماء الحياة ؟ إن تعش تقض العمر في البكاء ، أو تمت ، فليسرع إليها الموت لتتبع الملك أرواحنا الخفاقة الأجنحة ، أو فلنحلق به كالرعايا المخلصين إلى الليل السرمدي مملكته الجديدة .

الدوقة : أواه ! إن لي في أساك نصيباً كبيراً بقدر ما

كان لي في زوجك الجليل من نصيب .
لقد بكيت من قبل فقْد زوج كريم ، ثم
عشت بمشاهدته في وجوه أولاده : والآن
قد هشم الموت الحقود مرآتين كانتا
تعكسان رسمه النبيل ، ولم يبق لسلواي
إلا مرآة واحدة مخادعة ، أنظر فيها بحزن
إلى ما أنجبت من عار . إنك أرملة ،
ولكنك مع ذلك أم وما زال لك في
أنجالك عزاء . أما أنا فقد اختطف الموت
زوجي من ذراعي ، وانتزع من يدي
الضعيفتين عمادين كلرنس وإدوار . أواه ـ
إني لأحق ، إذ كان مصابك أقل من
مصابي ، بأن أجأر بالنحيب أكثر منك ،
وبأن يغطي عويلي على عويلك .

الفتى : إيه يا عمتي ! إنك لم تبك لموت والدنا ،
فكيف نقدر أن نواسيك بدموع الأنسباء
المماثلة .

الفتاة : إنك لم تحزني لتيتمنا بموت والدنا ،
وكذلك لن نبكي لآلامك إذا أصبحت
أرملة .

الملكة أليزابيت : لا تساعداني بالعويل ، فلست عقيماً أقدر
أن أوجد أسبابه . كل الينابيع مياهها في
عيني ، وليمدني القمر ، المائي ، بمدد

من عنده ، حتى أغرق بالدموع العالم بأسره . واحسرتاه على زوجي ـ على إدوار مولاي العزيز .

الولدان : واحسرتاه على والدنا ـ على عزيزنا ، لورد كلرنس .

الدوقة : واحسرتاه على كليهما ـ كلاهما ولدي ، إدوار وكلرنس ! .

الملكة أليزابيت : أي نصير كان لي غير إدوار ؟ وها هو ذا قد توفي .

الولدان : أي نصير كان لنا غير كلرنس ـ وها هو ذا قد توفي .

الدوقة : أي نصير كان لي غيرهما وها هما قد توفيا .

الملكة أليزابيت : هل أصيبت أرملة بمثل مُصابي العظيم ؟ .

الولدان : هل أصيب أيتام بمثل مصابنا العظيم ؟ .

الدوقة : وهل أصيبت أم بمثل مصابي العظيم ؟ واحسرتاه ، إني أم لأحزان هؤلاء النادبين جميعاً . إن لكل منهم أتراحه الخاصة أما أنا فأشعر بكل أحزانهم . إنها تبكي لإدوار وكذلك أبكي ، وأبكي أنا لكلرنس أما هي فلا تبكي ؛ ويبكي ولدا كلرنس هذان ،

وكذلك أبكي ، وأبكي أنا لإدوار أما هما
فلا يبكيان .
واحسرتاه ، فليذرف ثلاثتكم دموعكم
عليَّ فإني حاضنة أحزانكم ، وبداخلي
سأهدهده .

دوريست : (إلى الملكة أليزابيت) خففي عنك يا
أماه ! فإن الله يسؤوه كثيراً أن تتقبّلي
قضاءه بمثل هذا النكران . إنه لمن
الجحود في أمور الحياة الدنيا اليومية ، أن
يجد المرء غضاضة في أن يوفي ما عليه
من دين ، أعارته إياه يد كريمة محسنة .
فما بالك بنكران دين الله حين يطلب
الدين الملكي الذي أعارك إياه .

رفيرز : مولاتي ، فكري ـ كما يجب أن تفكر
الوالدة الحازمة ـ في ولدك الصغير .
أرسلي إليه في الحال ليلبس التاج ، ففيه
يكون عزاؤك . ولتدفني في قبر إدوار
حزنك اليائس . ولتزرعي سعادتك في
عرشه الباقي .

(يدخل غلوستر وبكنغهام وديربي وهستينكز
وراتكليف)

غلوستر : عزاء أختاه . إن علينا جميعاً أن نبكي

أفول كوكبنا المضيء ، ولكن النكبات لا تشفي بالبكاء . أي أمي ، معذرة فإني لم أرك .

(يركع)

إني أجثو في خضوع وأتوسل إليك أن تباركيني .

الدوقة : فليباركك الله ، وليضع في نفسك الرأفة والمحبة وعمل الخير والطاعة والحس الصادق بالواجب .

غلوستر : آمين ! (بينه وبين نفسه) وليكتب لي الله عمراً مديداً صالحاً . تلك خاتمة دعاء الوالدة ، فليت شعري لماذا أغفلتها جلالتها ؟ .

بكنغهام : أيها الأمراء الذين خيم الأسى عليهم ، أيها النبلاء الذين استبد الحزن بقلوبهم ، أنتم يا من تحملون جميعاً ثقل تلك النكبة المشتركة . ايمنح الله كل منكم التعزية والمواساة لأخيه بما يبذل له من حب . فلئن كنا قد أنفقنا حصاد هذا الملك فلنجنين حصاد ولده . إن قلوبكم التي صدعتها الضغينة والمرارة قد جُبرت والتأم شملها منذ زمن قصير . فلتترفقوا بها لتبقى محفوظة مجبورة الصدع عزيزة،

ومن الخير فيما أعتقد أن نوفد الآن حاشية قليلة العدد إلى « لودليو » لتحضر الأمير الصغير إلى لندن كي يتوج ملكاً علينا .

غلوستر : ولم تكون حاشية قليلة العدد ، يا سيدي اللورد بكنغهام ؟ .

بكنغهام : حتى - لا تنكأ جراح الضغينة التي لم تكد تندمل ، إذا نحن أحضرناه في حشد كبير يا سيدي اللورد . وذلك شيء سيء العاقبة والأمور ، لم تستقر بعد في يد تتولى توجيهها ؛ فكل حصان يمضي ، مُرْخى العنان ، على هواه ، وكل يؤمل ما يشتهي . وفي رأيي أنه يجب أن نجتنب ما نتوقع من سوء ، كما نجتنب سوءاً قائماً بالفعل .

غلوستر : آمل أن يكون الملك قد وفّق ما بيننا جميعاً . إني ما زلت ثابتاً على ما أعطيت ، من عهد .

رفيرز : وكذلك أنا ، وكذلك الآخرون فيما أظن ؛ على أن ذلك العهد لا يزال هشّاً ، لا ينبغي أن يُعرض لما يمكن أن يُثير ذهابنا في جماعة كبيرة من خطر؛ لهذا أوافق النبيل بكنغهام، على أنه من الأحسن أن يُحضر الأمير نفر قليل .

هستينكز : وهذا هو رأيي أنا أيضاً .

غلوستر : فليكن ذلك ، ولنذهب الآن لنرى من سيذهبون من فورهم إلى « لودليو » سيدتي ، وأنت يا أمي ، هل لكما أن تذهبا لتبديا رأياً في هذا الشأن .

الملكة أليزابيت والدوق : من كل قلبينا .

(يخرج الجميع باستثناء بكنغهام وغلوستر)

بكنغهام : مهما يكن من أمر الذاهبين إلى الأمير ، يا سيدي اللورد ، فإني بحق الله آمل ألا نتخلّف عن الذهاب معهم ؛ وبطريقة ما سأدبر الأمر كي نبعد أنسباء الملكة الأقوياء عن الأمير ، تمهيداً لما توافقنا عليه أخيراً .

غلوستر : أي خليل نفسي ، وناصحي الوفي ، أي كاهني ونبيي ! يا ابن عمي العزيز ! سأعمل كالطفل بتوجيهك ، فهيا بنا إذن إلى « لودليو » فلن نتخلف عن الذهاب معهم .

(يخرجان)

الفصل الثاني

المشهد الثالث

(لندن ـ شارع)

(يدخل مواطنان ويلتقيان)

المواطن الأول : مرحى أيها الجار ، إلى أين أنت ذاهب بهذه السرعة ؟ .

المواطن الثاني : أؤكد لك أني أنا نفسي لا أكاد أعلم ! هل سمعت ما أذيع من أخبار .

المواطن الأول : نعم إن الملك قد توفي .

المواطن الثاني : إنه لخبر سيء وحق العذراء ، وإن الخبر الطيب لشيء نادر ؛ وإني لأخشى ، وأخاف أن نكون مقدمين على فترة اضطرابات .

(يدخل مواطن ثالث)

المواطن الثالث : أي جاريّ ـ هيأ الله لكما الخير !

المواطن الأول : وجعل صباحك حسناً ، يا سيدي .

المواطن الثالث : هل صحيح الخبر عن وفاة الملك إدوار ؟ .

المواطن الثاني : نعم يا سيدي ، إنه صحيح . كان الله في عوننا الآن .

المواطن الثالث : إذن فتوقعا أيها السيدان فترة اضطرابات .

المواطن الأول : كلا . كلا . فسيحكم ولده بفضل الله .

المواطن الثالث : الويل والثبور لدولة يحكمها طفل ! .

المواطن الثاني : إن لنا رجاء وأملاً في حكم صالح على يديه . فما من ريب أن الأوصياء عليه سيحسنون الحكم إلى أن يبلغ سن الرشد ؛ وسيحسنه هو حين يبلغ ذلك العمر .

المواطن الأول : هكذا كانت حال الدولة حين توج هنري السادس بباريس وعمره تسعة أشهر .

المواطن الثالث : أهكذا كانت حال الدولة ؟ كلا ، كلا يا صديقيّ الكريمين ، علم الله ! كانت هذه البلاد معروفة حينئذٍ بما فيها من ساسة عظام كثيرين ، وكان للملك أعمام خيرون يحمونه .

المواطن الأول : عجباً ولهذا الملك أعمام وأخوال أيضاً .

المواطن الثالث : كان خيراً لو كانوا جميعاً أعماماً أو لو لم يكن له أعمام ألبتة ، فإن التنافس على التودد إليه الذي يحيط بنا الآن سيقرب منا جميعاً المصائب إن لم يحمنا الله منها .

ألا ما أخطر الدوق غلوستر ! ثم إن أنجال الملكة وأشقاءها صلفون متعجرفون . ليت أنهم يُحكمون بدل أن يكونوا هم الحكام ، إذن لسعدت هذه البلاد المنكوبة كما كانت من قبل .

المواطن الأول : رويداً، رويداً، إننا نتوقع أسوأ ما يمكن أن يكون، وسينتهي كل شيء إلى خير .

المواطن الثالث : حين تظهر الغيوم يرتدي الأذكياء معاطفهم ، وحين تتساقط الأوراق القوية فإن ذلك نذيراً بالشتاء . حين تغرب الشمس من ذا الذي لا يرتقب الليل ؟ إن الناس يتوقعون الجدب بعد العواصف المفاجئة . وقد ينتهي كل شيء إلى خير . على أنه إذا شاء الله ذلك ، فسيكون أكثر مما نستحق ومما أتوقع .

المواطن الثاني : حقاً إن الرعب يملأ نفوس الناس ، حتى أنك لا تكاد تتكلم مع إنسان لا يثقله الغم والرعب .

المواطن الثالث : هكذا تكون الحال دائماً قبل كل تبدّل كبير ، فللناس غريزة ملهمة تدفع عقولهم إلى توقع الآتي من الأخطار ؛ كما نشاهد ثورة الأمواج قبل هبوب عاصفة عاتية .

ولكن ، لندع الأمر كله لله . إلى أين ؟

المواطن الثاني : لقد طلبنا إلى المحكمة .

المواطن الثالث : وكذلك طلبت أنا ـ سأرافقكما .

(يخرجون)

الفصل الثاني

المشهد الرابع

(لندن ـ القصر)

(يدخل رئيس أساقفة يورك ، ودوق يورك الصغير ، والملكة أليزابيت ، ودوقة يورك)

رئيس الأساقفة : سمعت أنهم باتوا الأمس عند نورثامبتون . ولا ريب أنهم يبيتون الليلة في « ستوني ستراتفورد » وسيصلون إلى هنا غداً أو بعد غد .

الدوقة : إن فؤادي يفيض شوقاً لرؤية الأمير . عساه أن يكون قد كبر منذ رأيته آخر مرة .

الملكة أليزابيت : ولكني سمعت أنه لم ينمْ ، ويقولون إن ولدي يورك قد كاد أن يكون في مثل طوله .

يورك : أجل يا أمي ، وإن كان ذلك لا يفرحني .

الدوقة : ولم يا حفيدي الصغير ؟ إن من الخير أن يكبر المرء .

يورك : ذات مساء يا جدتي وقد جلسنا للعشاء

تحدث خالي رفيرز عن نموي بأسرع مما
نما شقيقي فقال عمي غلوستر : « أجل ،
إن الأعشاب النافعة تكون صغيرة رقيقة أما
الحشائش الخبيثة فتنمو بسرعة فائقة » .
ومنذ ذلك الحين وأنا لا أشتهي أن أنمو
بهذه السرعة لأن الأزهار الجميلة بطيئة
النمو ، على حين تربو الحشائش على
عجل .

الدوقة : تالله إن المثل لم يصدق على من لم يرض
عن نموك السريع ، فقد كان أهزل ما
يكون وهو صغير ، وقد تأخَّر بالنمو وعلى
مهل ، ولو صحت القاعدة لكان رقيقاً .

رئيس الأساقفة : ولا شك أنه لكذلك ، يا مولاتي
الكريمة .

الدوقة : آمل أن يكون كذلك ، ولكن من حق
الوالدات أن يجدن بعض الشك .

يورك : وأيم الحق لو فطنت إلى ذلك ، لهزأت
من نمو عمي الدوق . بأشد مما هزأ من
نموي .

الدوقة : وكيف يا يوركي العزيز ؟ بالله دعني أسمع
منك .

يورك : يقولون إن عمي كان سريع النماء حتى لقد

كان يستطيع أن ينفذ أسنانه في كسرة يابسة
بعد ساعتين من ميلاده ، أما أنا فلم تنبت
لي سن واحدة قبل أن أبلغ من العمر
سنتين كاملتين وقد كان ذلك حرياً بأن
يكون سخرية لاذعة يا جدتي الدوقة .

الدوقة : قل لي من أخبرك هذا ؟ يا يوركي العزيز ؟ .

يورك : مربيته يا جدتي .

الدوقة : مربيته كيف ؟ لقد توفيت قبل أن تولد .

يورك : إن لم تكن هي فلا أستطيع أن أقول من الذي أخبرني .

الملكة أليزابيت : يا لك من ولد ثرثار اذهب فإنك في غاية الخداع .

رئيس الأساقفة : مولاتي الجليلة لا تغضبي على الطفل .

الملكة أليزابيت : إن للأباريق آذاناً .

(يدخل رسول)

رئيس الأساقفة : ها قد أقبل رسول ـ ما عندك من أخبار ؟ .

الرسول : أخبار يحزنني أن أقولها يا مولاي .

الملكة أليزابيت : كيف حال الأمير ؟

الرسول : بخير وعافية يا مولاتي .

الدوقة : فما أخبارك تلك إذن ؟ .

الرسول : لقد حُمل اللورد رفيرز واللورد غراي إلى
بومفرت هما وسير توماس فوغان ، حيث

زُجّ بهم في السجن .

الدوقة : ومن أعطى الأمر بهذا ؟ .

الرسول : الدوقان العظيمان غلوستر وبكنغهام .

رئيس الأساقفة : بأي جرم ؟ .

الرسول : لقد ذكرت كل ما أعلم . ولست أدري لم سجن هؤلاء النبلاء ، ولا بأي جرم يا سيدي الكريم .

الملكة أليزابيت : لهف نفسي ، إني لألمح دمار أسرتنا ، فلقد أمسك النمر بالظبي الوديع ، وبدأ الطغيان الصلف يمد سلطانه على العرش البريء الضعيف . أهلاً بك أيها الخراب ، أيتها الدماء ، أيتها المذابح ! إني لأرى نهاية كل شيء ، كما لو كنت أراها في رسم مخطوط .

الدوقة : أيتها الأيام اللعينة المليئة بالخصام الصاخب ، كم قد رأت عيناي منك ! لقد أضاع زوجي حياته في سبيل التاج ، وتقلبت الأحوال كثيراً . بأنجالي بين خير وشر ، وتقلبت أنا كذلك بين السعادة بفوزهم ، والبكاء لفشلهم ، فلما استكان لهم الأمر وقضوا على الخلافات الداخلية إذا هم يقاتل بعضهم بعضاً . فالأخ خصم

لأخيه والدم عدو الدم والنفس عدوة للنفس ! إيهْ أيتها الأهواء المضطربة المجنونة ، أنهي حقدك اللعين ! أو أنزلي بي الموت حتى لا تقع عيناي على الموت من بعد ! .

الملكة أليزابيت : تعال ـ تعال يا ولدي، فسنلجأ للاحتماء بحرم الكنيسة. إلى الملتقى يا سيدتي .

الدوقة : مهلاً ، فسأذهب معكما .

الملكة أليزابيت : ليس ثمة ما يجبرك على هذا .

رئيس الأساقفة : إذهبي يا مولاتي الكريمة واحملي معك نفائسك وأموالك . وسأسلم إليك الخاتم الذي أحتفظ به ، وليجازيني الله بقدر ما أرعاك وأرعى ذوي قرباك . هلموا ، فسأذهب بكم إلى حرم الكنيسة .

(يخرجون)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(لندن ـ شارع)

(تنفخ الأبواق ـ يدخل الأمير الصغير ودوق غلوستر وبكنغهام والكاردينال بورشييه وكتسباي وآخرون) .

بكنغهام : أهلاً بك في لندن عاصمتك ومثواك أيها الأمير العزيز .

غلوستر : أهلاً بك يا أبن أخي ويا مدار أفكاري لقد علاك الدرب المتعب بمسحة من الحزن .

الأمير : كلا يا عماه ـ ولكن ما تعرضنا له من متاعب جعل الدرب مضجراً متعباً ثقيلاً . وددت لو كان هنا أخوال أكثر ليرحبوا بي .

غلوستر : أيها الأمير العزيز ـ إن براءة سنك الحديثة التي لم تشبها شائبة لم تخض بعد فيما يكتنف الحياة من مكر وخداع ، فأنت لا تستطيع أن تحكم على المرء إلا من هيئته ، والهيئة يعلم الله ـ قليلاً ما تتفق مع طوية القلب ، بل إنها قد لا تتوافق معها

أبداً . إن هؤلاء الأخوال الذين تفتقدهم كانوا خطراً عليك ؟ وقد استمعت إلى أقوالهم المعسولة ، ولكنك لم تطلع على ما في قلوبهم من سم . حفظك الله منهم من أشباههم من الأصدقاء الزائفين ! .

الأمير : حماني الله من الأصدقاء الزائفين ! ولكنهم لم يكونوا كذلك .

غلوستر : مولاي ـ لقد أتى عمدة لندن للسلام عليكم .

(يدخل عمدة لندن وحاشيته)

العمدة : نفح الله سموك الصحة والحياة الرغيدة .

الأمير : شكراً أيها اللورد العزيز . وشكراً لكم جميعاً . لقد توقعت أن تخرج والدتي وشقيقي يورك للقائنا في الطريق قبل أن نصل بوقت طويل . عيب على هستينكز الكسول إذا لم يأت ليخبرنا أيحضران !

(يدخل لورد هستينكز)

بكنغهام : لقد وصل اللورد في الوقت المناسب ، يتصبب عرقاً .

الأمير : مرحباً يا سيدي اللورد ـ هل ستحضر والدتنا .

هستينكز : لقد لجأت والدتكم الملكة وشقيقكم يورك إلى حمى الكنيسة لسبب يعلمه الله لا أنا . وكان الأمير الرقيق يتمنى لو أتى معي ليجتمع بسموكم ، ولكن والدته أجبرته على البقاء .

بكنغهام : يا للعار ! يا له من سلوك معوج نزق لا يليق بها . سيدي الكاردينال - هل لقداستك أن تقنع الملكة بأن توفد دوق يورك في التو إلى شقيقه الأمير ؟ فإن رفضت فاذهب معه يا لورد هستينكز وانتزعه بالقوة من بين ذراعيها الغيورتين .

الكاردينال : سيدي اللورد بكنغهام إذا استطاع منطقي الضعيف أن يظفر بالدوق يورك من والدته فستراه هنا بعد وقت قصير ، أما إذا استعصت على الرجاء الناعم فإن الله في سمائه لا يقبل أن نعتدي على حرمة ذلك الحمى المقدس ! ولن أقترف ذلك الذنب الأثيم ولو مُلِّكتُ كل هذه الأرض .

بكنغهام : إنك عنيد عناداً ليس له معنى يا سيدي ، مسرف في التزمت والمحافظة ، ولو أنك نظرت إلى الأمر برؤيا هذا العصر السمح ، لما رأيت في إخراجه اعتداء على حرم الكنيسة . لقد كان هذا الحرم .

دائما من نصيب أولئك الذين استحقوه بما أدوه من فعال: أو من أعطوا الذكاء ليدعوا ذلك الحق .

والأمير لم يدع ذلك الحق ، ولم يفعل ما يجعله يستحقه ؛ لذلك فهو في رأيي لا يملك هذا الحق ؛ وإذن فلن تعتدي على حق ولا حرمة إذا أخرجته من ذلك الحرم الذي لا حق له فيه . لقد سمعت كثيراً عن رجال أوَوا إلى حمى الكنيسة ، ولكني لم أسمع قبل اليوم بأطفال فعلوا ذلك .

الكاردينال : هذه المرة قد حولتني عن رأيي يا سيدي . هيا يا لورد هستينكز ، هلا ذهبت معي ؟ .

هستينكز : سأرافقك يا سيدي اللورد .

الأمير : عجِّلا قدر استطاعتكما أيها السيدان الكريمان .

(يخرج الكاردينال وهستينكز)

أي عمي غلوستر ، إذا أتى شقيقنا فأين نقيم حتى يحين موعد تتويجنا ؟ .

غلوستر : حيث تودون سموكم ، ولكن إذا كان لي أن أبدي رأيي فإني أقترح أن تستريح

سموكم يوماً أو يومين في القلعة وبعدها تنتقل إلى خير مكان يوافق صحتك وراحتك .

الأمير : إني أبغض القلعة من بين الأماكن جميعاً . أصحيح يا سيدي اللورد أن يوليوس قيصر هو الذي شيَّدها ؟

بكنغهام : نعم يا مولاي الكريم . لقد كان أول من شيَّدها ثم أعادت بناءها الأجيال المتعاقبة .

الأمير : أتلك حقيقة مدوّنة أم تداولها الناس من جيل إلى جيل ؟ .

بكنغهام : إنها مدوَّنة يا مولاي الكريم .

الأمير : ومع ذلك فيخيل إليَّ أنها لو لم تدوَّن فإن الحقيقة تظل حيَّة تنتقل من جيل إلى جيل ، يقصُّها الخلف جميعاً حتى يوم القيامة .

غلوستر : (بينه وبين نفسه) : يقال في المثل : إن الصغار النوابغ لا يعمَّرون .

الأمير : ماذا تقول يا عمي ؟ .

غلوستر : أقول إن المجد يعمر وإن يدوَّن في كتاب (بينه وبين نفسه) وهكذا أعبر ـ مثل

شخصية الظلم المعهودة ـ عن معنيين بكلمة واحدة .

الأمير : لقد كان يوليوس قيصر رجلاً مجيداً ، بما زادته شجاعته على حدة عقله ، فصمم عقله على تخليد شجاعته : ولن يستطيع الموت أن يغلب ذلك الفاتح ، فإنه ما زال يحيي في عزه وإن لم يعد يعيش في الحياة . أي ابن العم بكنغهام ! .

بكنغهام : ماذا ، يا سيدي الكريم ؟ .

الأمير : إن عشت حتى أبلغ مبلغ الرجال فسأسترجع حقنا القديم في فرنسا أو أموت جندياً كما حييت ملكاً .

غلوستر : (بينه وبين نفسه) : إن الصيف القصير يسبقه عادة ربيع مبكر .

(يعود هستينكز والكاردينال[1] وبرفقتهما يورك)

بكنغهام : ها قد أتى دوق يورك ولم تطل غيبته .

الأمير : أي ريتشارد دوق يورك ! كيف حال شقيقنا الحبيب ؟ .

يورك : بخير أيها السيد المحترم . كذا يجب أن أدعوك الآن .

الأمير : نعم يا شقيقي ، إنه ليحزننا كما يحزنك

أن نذكر قريباً موت من كان مستحقاً لهذا اللقب . لقد فقد اللقب بموته كثيراً من جلاله .

غلوستر : كيف حال ابن شقيقي دوق يورك النبيل ؟ .

يورك : أشكرك يا عمي العطوف . مولاي لقد قلت إن الأعشاب التي لا نفع منها سريعة النمو ؟ وها هو ذا شقيقي الأمير قد سبقني في النمو إلى حد بعيد ؟ .

غلوستر : هذا حق يا سيدي .

يورك : أهو إذن لا فائدة منه ؟ .

غلوستر : لا ينبغي أن أقول هذا يا ابن شقيقي ، أيها العزيز .

يورك : إذن فإن سلطانه عليك يفوق سلطاني .

غلوستر : إنه ملكي وبإمكانه أن يأمرني ، أما أنت أناصرك كما ينبغي لذي القربى .

يورك : أرجو يا عم أن تعطيني هذا الخنجر .

غلوستر : خنجري يا ابن شقيقي الصغير ! بكل سرور .

الأمير : هل تستعطي يا شقيقي .

يورك : من عمي الكريم ـ وأعرف أنه سيعطيني

إياه . فليس هذا الخنجر إلا دمية لا يُحزن المرء أن يهبها .

غلوستر : سأمنح ابن شقيقي هدية أعظم من هذا .

يورك : هدية أعظم من خنجرك ! إذن فأعطني حسامك معه .

غلوستر : لو كان خفيفاً كما يجب لأعطيتك إياه يا ابن شقيقي .

يورك : قد أدركت إذن أنك لا تحب أن تهب إلا الخفيف من الهدايا . وسترد السائل إذا طلب منك شيئاً ثقيلاً .

غلوستر : إنه أثقل من أن تحمله سموك .

يورك : لن أقيم له وزناً ولو كان أثقل من هذا .

غلوستر : ماذا ! أتريد أن تأخذ سلاحي أيها الأمير الصغير ؟ .

يورك : نعم لكي أشكرك شكراً يشبهتسميتك إياي .

غلوستر : كيف ؟

يورك : صغيراً .

الأمير : إن لورد يورك لا يزال يبدي الغضب في كلامه يا عم . ولا ريب أنك ستحتمل ذلك منه .

يورك : تعني يحملني لا يحتملني . إن شقيقي يهزأ منك ومني معاً يا عم . فإنه يعتقد لأني صغير كالقرد ـ أنك تقدر أن تحملني على كتفيك .

بكنغهام : يا له من متكلم لبق سريع البديهة ـ فقد غاب نفسه على نحو طريف ماهر ، لتحتمل له هزءه من عمه . إنه لشيء رائع أن يكون في مثل ذلك العمر الصغير وفيه هذا الدهاء .

غلوستر : سيدي الأمير . هلا تفضلت بالذهاب بينما أذهب أنا وابن العم الكريم بكنغهام إلى والدتكما لأطلب منها أن تلقاك في القلعة وترحب بك .

يورك : ماذا ! أتذهب إلى القلعة يا مولاي ؟ .

الأمير : تلك إرادة سيدي اللورد الوصي .

يورك : لن يهدأ لي نوم في القلعة .

غلوستر : ولِمَ لا ؟ ماذا يفزعك فيها ؟

يورك : ويحي ! طيف عمي كلرنس الغضوب فقد أخبرتني جدتي أنه قتل هناك .

الأمير : لست أهاب الموتى من أعمامي .

غلوستر : ولا الأحياء فيما أرجو .

الأمير : أرجو ألا أضطر إلى ذلك إن كُتبت لهم

الحياة أما الآن فهلم بنا يا سيدي اللورد
فسأذهب إلى القلعة والغمّ يثقل قلبي
لذكراهم .

(صـــوت بوق ـ يصحب هستينكز والكاردينال الأميرين
ويتركان غلوستر وبكنغهام وكتسباي)

بكنغهام : ألا تعتقد يا سيدي اللورد أن يورك ذلك
الثرثار الصغير قد دفعته والدته الأريبة إلى
الهزء بك ، والنيل منك على هذا الشكل
المخزي ؟ .

غلوستر : دون شك ، دون شك . آه ! إنه لولد
خطير ، جريء ، حاضر البديهة ، ماهر ،
باسل قدير . إنه كوالدته من قمة رأسه إلى
أخمص قدمه .

بكنغهام : دعك منهما الآن ، هلم يا كتسباي ، لقد
أقسمت أيماناً مغلظة أن تنفذ ما نوينا عليه
وأن تحتفظ به سراً . ولقد علمت ما دار
حوله حديثنا في الطريق فماذا ترى ؛
أليس من الصعوبة أن نستطيع أن نقنع
اللورد وليام هستينكز بما نراه من تتويج
هذا الدوق النبيل ملكاً على عرش تلك
الجزيرة .

كتسباي : إنه يحب الأمير ـ من أجل والدته ـ حباً

جماً ، حتى ليستحيل إقناعه بأية طريقة لينقلب ضده .

بكنغهام : وما رأيك في ستانلي إذن ؟ ماذا يكون موقفه ؟ .

كتسباي : سيفعل مثلما يفعل كتسباي تماماً .

بكنغهام : إذن فليس لنا إلا هذا : تذهب يا كتسباي الكريم وتستطلع ، في لباقة ، رأي اللورد هستينكز فيما نوينا عليه ، وتطلب منه أن يأتي غداً إلى القلعة ليحضر المجلس الذي سينظر في أمر التتويج . فإن أحسست منه ميلاً إلينا فشجعه وأظهر له حججنا . أما إن رفض رفضاً ثقيلاً كالرصاص ، بارداً كالثلج ، فكن مثله واقطع كلامك معه وأنبئنا بطويته فسنعقد غداً مجلسين منفصلين وستشغل بهما انشغالاً كبيراً .

غلوستر : بلغ تحياتي إلى اللورد وليام ، وقل له يا كتسباي ، إن هامات تلك الجماعة من أعدائه القدامى ذوي الخطر، ستقطع غداً في قلعة بومفرت ، وهنيء صديقي بذلك الخبر المفرح ، واحمل كذلك قبلة حانية مني إلى السيدة « شور » .

بكنغهام : اذهب يا كتسباي وأنفذ هذا الأمر في حكمة .

كتسباي : سأبذل كل وسعي يا سيديَّ اللوردان الكريمان .

غلوستر : هل نراك قبل أن ننام يا كتسباي ؟ .

كتسباي : نعم يا سيدي اللورد .

غلوستر : ستجدنا كلينا في قصر كروسبي .

(يخرج كتسباي)

بكنغهام : والآن يا سيدي ، ماذا ترانا نعمل إن علمنا أن اللورد هستينكز لن يتجاوب ومخططاتنا ؟ .

غلوستر : نضرب عنقه يا رجل ـ ذلك ما سنفعل . وحين أظفر بالملك فاسألني أن تكون إرل « هيرفورد » وتحوز كل ما كان لشقيقي الملك من مقتنيات .

بكنغهام : سأسأل تحقيق هذا الوعد من يديك يا سيدي .

غلوستر : وسنعطيك إياه برغبة صادقة . والآن فلنتناول العشاء . ثم ننظر بعد ذلك في إحكام خططنا .

(يخرجان)

الفصل الثالث

المشهد الثاني

أمام بيت اللورد هستينكز : الوقت ليل

(يطرق الباب « يدخل رسول » ويقف دون باب هستينكز)

الرسول : سيدي اللورد ! سيدي اللورد !

هستينكز : (من الداخل) : من الطارق ؟

الرسول : موفد من اللورد ستانلي .

هستينكز : (من الداخل) : كم الساعة ؟

الرسول : أوشكت على الرابعة (يفتح هستينكز الباب) .

هستينكز : ألا يستطيع سيدي اللورد ستانلي الرقاد في هذه الليالي الطويلة الثقيلة ؟ .

الرسول : يبدو أنه لا يستطيع ، وربما أدركت هذا بعد أن تسمع رسالته . وهو يبدأ فيرسل بتحياته إلى مقامك الجليل .

هستينكز : وبعد ؟

الرسول : ثم يقول لنبالتك إنه أبصر الليلة في الحلم أن الخنزير البري هاجمه وأوقع خوذته

ويقول إن ثمة مجلسين يلتئمان غداً ،
وربما تقرر في أحدهما ما يجعلك أنت
وهو تندمان على ما دار في النهاية ؛ لذلك
بعثني لأسأل عظمتك هل تحب أن تركب
معه في الحال ، لترحلا سريعاً إلى
الشمال حتى تتجنبا الخطر الذي توقعته
نفسه في الحلم الذي أبصره .

هستينكز : إذهب يا رجل ـ اذهب . إرجع إلى مولاك
وأخبره ألا يهاب المجلسين المنفصلين ؛
فسيشهد كل منا المجلس الأول ، ويحضر
الآخر صديقي الكريم كتسباي ، فإذا دار
هناك أي شيء يهمنا فسيخبرنا به . قل له
إن مخاوفه لا مبرر لها من الواقع ، أما
أحلامه فإنه لا ينبغي أن يكون من
السذاجة بحيث يصدق أضغاث الأحلام ،
تلك التي يوحي بها إليه رقاد غير مطمئن .
إن هروبنا أمام الخنزير ، قبل أن يتبعنا ،
سيغريه بأن يطاردنا وإن لم ينو ذلك من
قبل . اذهب ، واسأل مولاك أن يقف ،
ويأتي إليَّ لكي نذهب معاً إلى القلعة .
وسيرى هناك كيف يكون الخنزير رقيقاً
معنا .

الرسول : سأذهب وأبلغ رسالتك إليه يا سيدي

اللورد

(يخرج ويدخل كتسباي)

كتسباي : سعد صباحك دائماً ، يا سيدي اللورد النبيل !

هستينكز : سعد صباحك يا كتسباي ، لقد نهضت مبكراً . ما الأخبار ؟ ما أخبار دولتنا المتداعية ؟

كتسباي : حقاً ! إنه لعالم متمايل ، يا سيدي اللورد ؛ وما أظن أن أمره سيستقيم أبداً إلا أن يعتمر ريتشارد إكليل المملكة .

هستينكز : كيف ؟ يعتمر الاكليل ! أتعني التاج ؟ .

كتسباي : نعم يا سيدي اللورد .

هستينكز : إني لأفضل أن يطاح بتاج رأسي الذي أحمله على عاتقي ، قبل أن أرى التاج يوضع في غير موضعه على هذا الشكل المخزي . ولكن أتظنه يسعى إلى ذلك ؟ .

كتسباي : نعم ، لعمري ، وهو يأمل أن يراك سريعاً إلى جانبه ، لما سيكون في ذلك من خير لك . لذلك بعثني بهذا الخبر المفرح . إن خصومك من أنسباء الملكة سيقتلون بلا شك اليوم في « بومفرت » .

هستينكز : حقاً إن هذا الخبر لا يحزنني ، فإنهم كانوا ، ولا يزالون ، خصومي . أما أن أنحاز إلى صف ريتشارد ، لأحول بين ورثة مولاي وبين حقهم الشرعي في العرشِ ؛ فالله يدري بأني لن أفعل ذلك ولو متّ دونه .

كتسباي : أدام الله إخلاصك يا سيدي اللورد .

هستينكز : ولكن السنة لن تنصرم حتى أضحك من هذا ، حين أشهد مأساة أولئك الذين حاولوا أن يدفعوني إلى معاداة مولاي . أقول لك يا كتسباي .

كتسباي : ماذا ، يا سيدي ؟

هستينكز : لن يمضي أسبوعان حتى أقضي على بعضِ الناس دون أن يتوقعوا من ذلك شيئاً .

كتسباي : إنه لشيء مريع ، يا سيدي اللورد الكريم ، أن يُصرع المرء على حين غفلة .

هستينكز : أوه ! إنه بشع ! وهكذا سيكون رفيرز وفوغان وغراي . وهكذا سيكون لدى غيرهم ، أولئك الذين يحسبون أنفسهم ، مثلي ومثلك ، في أمان من الخطر .

أولئك الذين يحبهم الأميران ريتشارد
وبكنغهام كما تعرف .

كتسباي : إن الأميرين يقدران ما لك من مكانة سامية (بينه وبين نفسه) فإنهما يقدران أن رأسه قد اتخذ مكانة العالي على الجسر .

هستينكز : أعرف هذا عنهما . وإني لأستحقه .

(يدخل لورد ستانلي)

أهلاً ـ أهلاً ـ أين رمحك يا رجل ؟ أتخاف الخنزير البري وتمضي هكذا بدون سلاح ! .

ستانلي : صباح الخير . يا سيدي اللورد . صباح الخير يا كتسباي تستطيع أن تهزأ من ذلك ، ولكني أحلف بحق الصليب المقدس أني أنا لا أطمئن إلى هذين المجلسين ، المنفصلين .

هستينكز : سيدي ، إني حريص على حياتي حفاظك علي حياتك ، بل إني لأؤكد بأني لم أكن يوماً أحفظ مني عليها الآن . أتعتقد أني أستطيع أن أكون مسروراً ، كما تشاهدني الآن لو لم أكن مطمئناً على سلطاننا ؟ .

ستانلي : لقد كان اللوردات الذين ينزلون الآن في سجن بومفرت مسرورين حين ركبوا من

لندن ، وكآنوا مطمئنين على سلطانهم ، ولم يكن هناك ، حقاً ما يدفعهم للشك . ومع ذلك فأنت ترى كيف يلبد يومهم سريعاً بالسحب . إني لأخشى طعنة الحقد وأطلب الله أن تبرهن الأحداث أني كنت جباناً دون داعٍ إلى الجبن ! هلا ذهبنا إلى القلعة ؟ فقد أوشك اليوم أن ينقضي .

هستينكز : هيا بنا ـ هل تعلم ، يا سيدي اللورد ، أن السادة الذين تتكلم عنهم ستضرب رقابهم اليوم ؟ .

ستانلي : إنهم بوفائهم يستحقون أن يحتفظوا برؤوسهم أكثر مما يستحق بعض الذين اتهموهم أن يلبسوا قبعاتهم . ولكن هلم بنا يا سيدي اللورد .

(يدخل رسول رسمي)

هستينكز : فلتذهب أنت الآن بينما أتكلم إلى هذا الفتى الطيب .

(يخرج ستانلي وكتسباي)

ماذا وراءك يا فتى ! وكيف حالك ؟ .

الرسول : إن سؤال فخامتكم عن حالي يجعلني في أحسن حال .

هستينكز : أما عن حالي فإني أقول لك يا رجل إنها الآن أسعد مما كانت عليه حين تقابلنا آخر مرة . فقد كنت حينئذٍ في سبيلي إلى سجن القلعة بإيحاء من أنصار الملكة ، أما الآن فإني أخبرك بنبأ آمل أن تكتمه سراً ، إن هؤلاء الخصوم سيعدمون اليوم ، ولم تكن حالي في يوم أحسن مما هي الآن .

الرسول : أدام الله عليّ فخامتكم الخير والرضى .

هستينكز : شكراً جزيلاً أيها الفتى ، خذ وأشرب نخبي .

(يرمي إليه بكيسه)

الرسول : أشكر فخامتك .

(يخرج ويدخل راهب)

الراهب : أهلاً سيدي اللورد - إني مسرور بمشاهدة فخامتك .

هستينكز : أشكرك من صميم فؤادي يا سيدي الكريم السير جون إني مدين لك بما أديت من طقوس ؛ ولكن إرجع السبت المقبل ، تجد ما يرضيك .

(يهمس في أذنه)

الراهب : سأقوم على خدمتك .

(يدخل بكنغهام)

بكنغهام : ماذا ! أيتكلم اللورد ، كبير أمناء القصر ، مع راهب ؟ إن أصدقاءك في « بومفرت » هم الذين يحتاجون إليه ، أما فخامتك فليست بك حاجة الآن إلى الاعتراف .

هستينكز : بالله لقد ذكرت أولئك الذين تتكلم عنهم حين لقيت هذا الراهب . أذاهب أنت إلى القلعة ؟ .

بكنغهام : نعم يا سيدي اللورد . ولكني لن أبقى طويلاً ، فسأعود من هناك قبل أن تعود فخامتك .

هستينكز : هذا صحيح فسأبقى لأتناول الغداء هناك .

بكنغهام : (لنفسه) والعشاء أيضاً ، وإن كنتَ لا تعرف . (يجهر بالقول) أذاهب أنت الآن ؟ .

هستينكز : أجل - سأذهب في خدمتك .

(يخرجون)

الفصل الثالث

المشهد الثالث

(قلعة بومفرت)

(يدخل سير ريتشارد راتكليف وحملة الرماح يسوقون رفيرز وغراي وفوغان إلى الموت)

راتكليف : هيا ـ تقدموا بالسجناء .

رفيرز : دعني أقول لك ، يا سير ريتشارد . إنك ستشهد اليوم ، موت واحد من رعايا الملك ، لوفائه وولائه واتباعه الحق .

غراي : حمى الله الأمير من طغمتكم جميعها ! فأنتم عصبة ملعونة من مصاصي الدماء .

فوغان : ستحيا حتى تبكي أسفاً على هذا .

راتكليف : هيا فقد أزف أجلكم .

رفيرز : أي بومفرت . أي بومفرت ! أيها السجن الدموي ، يا تهلكة السادة النبلاء وشقاءهم ! بين حيطانك اللعينة ! مزقت السيوف ريتشارد الثاني . وها نحن نهبك دماءنا النبيلة لتشربها ويزداد مقرك المشؤوم عاراً بين الناس .

غراي : لقد نزلت لعنة مارغريت على رؤوسنا .
عندما صاحت مستنجدة بهستينكـز ،
وبك ، وبي ، فلم نحرك ساكناً ونحن
نشاهد ريتشارد يطعن ولدها .
لقد استنزلت اللعنات على هستينكز ثم
على ريتشارد وبعد على بكنغهام . ربِّ
فلا تنس دعاءها عليهم ، كما سمعت
دعاءها علينا . ولتكن دماؤنا يا ربي
الكريم ، دماؤنا التي ستراق - كما تدري -
دون ذنب ، كفارة عن شقيقتي وولديها
الأميرين .

رفيرز : هيا فقد أزفت ساعة المنون .

راتكليف : فلنتعانق ويودع بعضنا بعضاً يا غراي
وفوغان إلى أن نلتقي في السماء .

(يخرجون)

المشهد الرابع

القلعة لندن

(يدخل بكنغهام وديربي وهستينكز وأسقف إيلي ورراتكليف ولافيل مع آخرين ، ويجلسون إلى منضدة)

هستينكز : ومن ثمَّ ، أيها السادة النبلاء ، لقد اجتمعنا من أجل أن نعيِّن يوماً للتتويج . فقولوا بالله ! متى يكون ذلك اليوم الملكي ؟ .

بكنغهام : أَحُضِّر كل شيء لذلك اليوم الملكي ؟ .

ديربي : نعم ولم يبق إلا أن نحدده .

إيلي : إن غداً ليوم مبارك فيما أرى .

بكنغهام : من منكم يعلم رأي اللورد الوصي ؟ أيكم أقرب إلى الدوق النبيل ؟ .

إيلي : أظن أنِ فخامتك تستطيع أن تعلم رأيه بأسرع مما نستطيع .

بكنغهام : من ! أنا يا سيدي ؟ كلانا يعلم وجه صاحبه أما عن قلوبنا فإنه لا يعلم عن قلبي ، أكثر مما أعلمه عن قلبك ، ولا أعلم عن قلبه ، يا سيدي اللورد ، أكثر

مما تعلمه عن قلبي ، اي لورد هستينكز ،
إنكما صديقان حميمان .

هستينكز : إنني أشكر فخامته لما يوليني من ود .
ولكني لم أسأله عن رأيه في مسألة
التتويج . ولم يشأ فخامته أن يقول عنه
شيئاً . على أنكم ، أيها السادة اللوردات
المحترمين ، تستطيعون أن تعيِّنوا اليوم ،
وسأدلي برأيي نيابة عن الدوق ، وأرجو أن
يوافق عليه .

(يدخل غلوستر)

إيلي : ها قد أتى الدوق بنفسه أوان حاجتنا إليه .

غلوستر : طاب يومكم جميعاً ، يا سادتي اللوردات
المحترمين ، ويا أبناء العم . لقد تأخرت
في النهوض ، ولكني ، أرجو ، ألا يكون
ذلك قد أخركم عن بحث شؤون خطيرة
كان حضوري معكم يمكن أن ينجزها .

بكنغهام : لو لم تحضر في اللحظة المناسبة يا سيدي
اللورد لأعلن وليم لورد هستينكز عن
موقفك ، أعني عن رأيك ، في أمر تتويج
الملك .

غلوستر : لن تجد امرءاً أكثر جرأة من اللورد

هستينكز، فإن فخامته يعرفني خير المعرفة ويحبني أصدق الحب .

هستينكز : شكراً لفخامتك .

غلوستر : أي لورد إيلي .

إيلي : سيدي ؟ .

غلوستر : لقد أبصرت في حديقتك ، حين كنت في « هولبورن » آخر مرة ، ثماراً لذيذة من « الفراولة » . فهلا بعثت في طلب شيء منها .

إيلي : تالله لأفعلن يا سيدي بكل سرور .

(يخرج)

غلوستر : بكنغهام يا ابن العم ، إن لي كلمة معك .

(ينتحي به جانباً)

لقد استكشف كتسباي رأي هستينكز فيما نوينا من أمر ، فوجد السيد العنيد عنيفاً كل العنف حتى أنه ليفضًل أن يفقد عنقه قبل أن يوافق على أن يفقد عرش إنكلترا ولد سيده ـ كما يأبى له وفاؤه إلا أن يسميه .

بكنغهام : انصرف سيادتك لحظة وسأصحبك .

ديربي : لم نعيّن بعد ذلك اليوم المظفَّر ، وفي رأيي ، أن الغد قريب جداً ، ولست على

استعداد له ؛ كما يجب أن أكون لو كان أقصى من هذا .

(يعود أسقف أيلي)

إيلي : أين سيدي اللورد دوق غلوستر؟ لقد أرسلت في طلب « الفراولة » .

هستينكز : إن فخامته يبدو اليوم مسروراً راضياً ؛ ولا ريب أن سلامه علينا بمثل ذلك المرح دليل على أن هناك أمراً أو آخر سرّه سروراً كبيراً . فما أعتقد أحداً على وجه الأرض يضاهيه في عجزه عن إخفاء حبه أو كرهه ، حتى ليقدر المرء بنظرة واحدة إلى وجهه أن يعرف مكنون قلبه .

ديربي : وماذا عرفت اليوم من مكنون قلبه مما ظهر على وجهه من ابتهاج ؟ .

هستينكز : الحق أنه غير غاضب على أحد هنا فلو كان به غضب لظهر ذلك في وجهه .

ديربي : أسأل الله ألا يكون به غضب على أحد .

(يرجع غلوستر وبكنغهام وقد علت وجهه كآبة عجيبة وراح يقطب جبينه ويعض شفته)

غلوستر : ناشدتكم جميعاً أن تخبروني ، ما جزاء مَنْ يأتمرون على موتي ، بطرائق شيطانية من السحر الملعون ؟ ومَنْ نالوا من بدني

بطلاسمهم الجهنمية ؟ .

هستينكز : إن ما أكنه لفخامتك من ودٍ رؤوم ، يا سيدي اللورد ، يدفعني أن أبادر ، أمام هؤلاء النبلاء ، فأدين أولئك المجرمين ، مهما تكن أشخاصهم : وأعلن ، يا سيدي اللورد ، أنهم يستحقون الموت .

غلوستر : إذن فلتشهد عيناك على ما أصابني من شرهم ! أنظر كيف حاق بي السحر ! تأمل ذراعي وقد ذوت كغصن يابس عصفت به الريح ، ذلك ما فعلته بسحرها زوجة إدوار ؛ تلك الساحرة الرهيبة ، هي وتلك المومس شور .

هستينكز : إن كانتا قد اقترفتا ذلك ، يا سيدي اللورد النبيل .

غلوستر : إن ؟ يا حامي تلك المومس اللعينة ؛ أتقول لي « إن » ؟ أنت خائن ! اضربوا عنقهِ . وحق القديس بولس لن أتناول غدائي حتى أبصر رأسه ! عليكما بتنفيذ ذلك الأمر يا « لافيل » ويا « راتكليف » وليقف الباقون ، الذين يودونني ؛ وليتبعوني .

(يخرج الجميع ما عدا هستينكز وراتكليف ولافيل)

هستينكز : واأسفاه ـ واأسفاه على إنكلترا ! ولا ذرة من أسف عليَّ أنا ! فقد كنت أقدر أن أتجنب هذا ، لو لم أكن على هذا النحو من الحمق . لقد رأى ستانلي في الحلم أن الخنزير البري قد أصاب خوذته ؛ ولكني هزأت من حلمه وأنفت من الهرب . لقد عثر حصاني المجلل إلى قوائمه ثلاث مرّات حين رأى القلعة اليوم ، كأنما كان يرفض أن يقلّني إلى المجزرة . أوه ، والآن أجدني في حاجة إلى ذلك الراهب ، الذي تكلم إليَّ الآن أشعر بالندم لأني قلت للموفد الرسمي ، في لهجة المنتصر كل النصر على خصومهم ، إنهم قد ذبحوا في بومفرت في حين بقيت أنا في رضى وسلام . أي مارغريت ، أي مارغريت ، الآن حلت لعنتك الثقيلة على رأس هستينكز البائس الشقي .

راتكليف : هيا هيا ـ وأسرع فقد حان أوان غداء اللورد ، لا تطل اعترافك فإن الدوق يشتهي أن يرى رأسك .

هستينكز : أيها النعيم المضمحل ! يا نعيم المخلوقين الفانين الذي نسعى وراءه أكثر

مما نسعى وراء رضى الله ! إن من يشيد
آماله على هواء من مظهرك الجميل ،
يحيي كبحار سكيّر على سارية سفينة ،
تستطيع أية رجة أن ترمي به إلى أعماق
البحر القاتلة .

لافيل : هيا ـ هيا ـ أسرع . إن الشكوى لا فائدة
منها .

هستينكز : إيه ، أيها السفاح ريتشارد ـ أي إنكلترا
التعسة ! إني أتنبأ لكما بأشقى مصير
شهدته الأيام . هيا ، اذهبا بي إلى النطع
واحملا رأسي إليه فإن من يضحكون
لمصيري عُما قليل سيلقون حتفهم .

(يخرجون)

المشهد الخامس

(أسوار القلعة)

(يدخل غلوستر وبكنغهام ، دروع بالية واضطراب بالغ)

غلوستر : إيه يا ابن العم ـ ألا تستطيع أن ترتعد وتصطنع الشحوب ؛ وتظهر كأنما تقطعت أنفاسك خلال الكلام ؟ ثم تبدأ الحديث مجدداً ، ثم تقطعه . كأنما أصابك الخوف بمس من الجنون ؟ .

بكنغهام : مهلك ، فإني أستطيع أن أقلد ممثل المأساة البارع ، فأتكلم ، ثم أنظر إلى خلف ، وأتطلع عن يمين ، ويسار ، ثم أرتجف ، وأهلع لسقوط قشة واتكلف التوجس الشديد ؛ ولا تنقصني النظرات الوالهة ، كما لا تنقصني الابتسامات المصطنعة ؛ فكلها مستعدة لمساعدتي في أي وقت ، لكي أنفذ ما خططت له ولكن ، هل ذهب كتسباي ؟ .

غلوستر : أجل ، وها هو ذا قد جاء بالعمدة .

(يدخل العمدة وكتسباي)

بكنغهام : أيها العمدة .

غلوستر : ألقِ نظرة هناك إلى الجسر المتحرك !

بكنغهام : أسمع دقة طبل !

غلوستر : أنظر يا كتسباي من فوق الأسوار .

بكنغهام : أيها العمدة لقد استدعيناك لكي . . .

غلوستر : أنظر خلفك - إحم نفسك فقد أقبل بعض الأعداء !

بكنغهام : فليصننا الله ويحرسنا - ولتحمنا وتحرسنا براءتنا !

غلوستر : رويداً ، فإنهما صديقان ، راتكليف ولافيل .

(يدخل لافيل وراتكليف برأس هستينكز)

لافيل : ها هو ذا رأس ذلك الخائن الماكر هستينكز ذلك الخصم الخطير الذي لم يكن يرتاب فيه أحد .

غلوستر : أشعر بحاجة إلى البكاء فقد كنت أحبه أعظم الحب . لقد حسبته أصرح إنسان يحيا على هذه الأرض ؛ وأبعد المسيحيين طراً عن التفكير في أي شر . فاتخذت منه سفراً تدون فيه روحي كل ما خفي من خلجاتها . كم كان ماهراً في إخفاء رذائله ، بما يلوح عليه من مظاهر الفضيلة . حتى لقد عاش بعيداً عن كل

شك ؛ إن نحن أغفلنا جرمه البادي
المعلوم أعني صلته بزوجة شور .

بكنغهام : نعم ـ لقد كان أقدر الخائنين على ستر
خيانته وإخفائها ، هل يمكن أن يدور
بذهنك ، أو تعتقد أنه لولا عناية الله
العظيمة ، ما حيينا لنخبرك أن هذا الخائن
الداهية ، كان قد وضع مخططاً لاغتيالنا
اليوم ، في مقر المجلس ، أنا وسيدي
الكريم لورد غلوستر .

العمدة : ماذا ! أَوَ قَدْ فعل هذا ؟

غلوستر : عجباً ! أتحسبنا تركاً أو كفرة ، أم تظن أننا
كنا نبادر إلى قتل ذلك المخاتل ، في مثل
تلك السرعة ، دون أن نلجأ إلى القانون ،
لو لم تضطرنا إلى ذلك شدة خطورة
الأمر ، والحفاظ على سلامة إنكلترا ،
وسلامتنا نحن ؟ .

العمدة : كتب الله لكما الخير ! لقد استحق
الموت . وقد أحسنتما عملاً ، يا سيداي
الكريمان ، إذ جعلتماه نكالاً للخائنين
الخادعين .

بكنغهام : على أني لم أكن أتوقع منه خيراً قط ، منذ
بدأ صلته بالخليلة شور . ومع ذلك ، فقد

كان في نيتنا ألا نقتله ، حتى تشهد فخامتك مقتله ، لولا أن حال دون ذلك وفاء هذين السيدين من أصدقائنا ، فدفعهما إلى تلك السرعة ، وهو ما لا يلائم قصدنا كل الملاءمة ، لقد كنا نود أن نُسْمِعَ فخامتك ، حديث الخائن ، واعترافه الوضيع ، عن طريقته في تنفيذ خيانته ، ومأربه منها ، لكي تنقل ذلك إلى أهل المدينة ، حتى لا يسيئوا تفسير سلوكنا نحوه ، ويحزنوا لموته .

العمدة : ولكن قولك ، يا سيدي اللورد الكريم ، يغني عن مشاهدتي إياه ، وسماعي اعترافه . وسأعمل ، يا سيداي النبيلان على أن أنقل إلى أهل المدينة الأوفياء . عدالة مسلككما في هذا الشأن .

غلوستر : ولهذا الغرض كنا نحب أن تكون فخامتك موجوداً ، حتى نجتنب نقد الناس وملامتهم .

بكنغهام : أما وقد أتيت بعد فوات الوقت فاشهد على ما كنا قد صممنا عليه . وإلى اللقاء يا سيدي اللورد الكريم .

(يخرج العمدة)

غلوستر : اذهب ـ اتبعه يا بكنغهام يا ابن العم ـ

اتبعه فإنه سيذهب سريعاً إلى ندوة المدينة
وهناك فلننتهز الفرصة بقدر ما تتمكن لكي
تقدح في نسبة أولاد إدوار إلى والدهم .
أخبر الناس كيف أعدم إدوار رجلاً من
أهل المدينة ، لا لشيء إلا لأنه قال إنه
سيجعل ولده وريثاً للتاج ، يريد بذلك بيته
المعروف بهذا الاسم إذ كان التاج هو
العلامة المميزة له . ثم تكلّمْ عن ترفه
الذميم ، وخضوعه البهيمي لشهواته
المتقلبة ، تلك التي امتدت إلى خادماتهم
وفتياتهم ونسائهم ، ذكّرهم كيف كانت
عينه الجشعة ، وقلبه القاسي يبحثان دائماً
بلا وازع عن طريدة جديدة . فإن لزم
الأمر فأخبرهم ، لكي تخلص إلى
ذكري ، أن والدي ، الأمير يورك ، كان
يقاتل في فرنسا ، حين ولدت والدتي ذلك
المنهوم إدوار . وحين حسب والدي أيام
الحمل حساباً دقيقاً ، تبين له أن الوليد
ليس ولده . وقد صدقت ملامح الوليد
ارتيابه ، إذا لم تكن ملامحه تشبه ملامح
والدي النبيل في شيء ؛ كأنما جاء إلى
خاطرك عرضاً . فإنك تعلم ، يا سيدي
اللورد ، أن والدتي لا تزال حية .

بكنغهام : لا تهب شيئاً ، يا سيدي اللورد ، فسأقوم

بدور الخطيب بمهارة . كما لو كنت سأحظى لنفسي بتلك المكافأة الذهبية التي أطلبها لك . فإلى الملتقى يا سيدي اللورد .

غلوستر : إذا وفقت إلى مأربك فأحضرهم إلى قلعة « باينارد » حيث تجدني ، بصحبة القسيسين الأجلاء ، والأساقفة الراسخين في العلم .

بكنغهام : سأذهب الآن . إنتظر ما أحمله من أخبار ندوة المدينة ، حوالي الساعة الثالثة أو الرابعة .

(يخرج)

غلوستر : إمضِ يا لافيل بأقصى سرعة إلى الدكتور شو

(إلى كتسباي)

واذهب أنت إلى القسيس « بنكر » واطلب منهما أن يلقياني في تلك الساعة في قلعة « باينارد »

(يخرج الجميع ما عدا غلوستر)

فلأدخل الآن لأدبر شأناً خاصاً ، فأقصي ابن كلرنس وابنته عن هذا المكان . وآمر الا يتصل أحد ، مهما يكن شانه ، بالأميرين .

(يخرج)

المشهد السادس

(المنظر نفسه - شارع)

(يدخل مسجل بورقة في يده)

المسجل : هذه هي وثيقة إتهام اللورد هستينكز الرجل الطيب دوَّنتها بخط جلي أنيق لكي يُتلا اليوم في كنيسة القديس بولس ، ما أروعها من قصة محبوكة ! لقد أمضيت في كتابتها إحدى عشرة ساعة ، إذ أتى بها إليَّ كتسباي ليلة البارحة ، ودامت صياغة مسودتها مثل هذا الوقت . ومع ذلك فقد كان اللورد هستينكز لا يزال ، منذ خمس ساعات ، على قيد الحياة ، عزيزاً طليقاً لا أحد يتهمه . يا لها من حياة طيبة ! مَنْ ذلك الغبي الذي لا يرى تلك الخديعة الظاهرة ؟؟ ولكن ، من ذلك الجريء الذي يستطيع أن يقول إنه يراها ؟ يا للحياة المليئة بالشر ! ويا للضياع حين يغمض الناس أعينهم عن ذلك السلوك المعيب ! .

المشهد السابع

قلعة باينارد

(يدخل غلوستر وبكنغهام من بابين مختلفين)

غلوستر : والآن يا سيدي ، ماذا قال أهل المدينة ، وقدسية أم سيدنا المسيح ؟ .

بكنغهام : لقد التزموا السكوت . ولم يفوهوا بكلمة واحدة .

غلوستر : هل أشرت إلى الشك في نسبة أولاد إدوار ؟ .

بكنغهام : نعم ـ وأومأت إلى عقد قرانه السابق على السيدة لوسي وإلى عقد زواجه وهو بفرنسا بالتوكيل ، وإلى شهواته النهمة التي لا تشبع ، واغتصابه نساء المدينة ؛ وإلى ما كان يأخذ الناس به من جور ، من أجل أشياء صغيرة تافهة ؛ وإلى نسبه هو الزائف ، إذ كان قد ولد ووالدك موجود في فرنسا ؛ وأومأت إلى أن ملامحه لا تشبه سيماء والدك الدوق : ثم ذكرت أن قسماتك أنت ، تشبه قسمات والدك كل الشبه ؛ وأنك مثله في مظهرك ومخبرك

النبيل . وأشدت بجميع انتصاراتك في اسكتلندا وحزمك في الحرب ، وحصافتك في السلم وجودك وما تتحلى به من فضيلة ، وتواضعك الجميل . والحق أني لم أدع شيئاً يخدم مأربك إلا ذكرته أو أومأت إليه . وحين انتهيت من خطبتي ، طلبت إلى كل من يخلص لوطنه الحب ، أن يهتف : عاش ريتشارد ملك إنكلترا .

غلوستر : وهل هتفوا ؟ .

بكنغهام : كلا والله ، ما فاهوا بكلمة واحدة ! بل ، نظر بعضهم إلى بعض ، في سكوت ، وقد اعتراهم شحوب بالغ . كأنهم أصنام خرساء ، أو صخور تتنفس ، فلما رأيت ذلك منهم ، وجهت إليهم اللوم ؛ وسألت العمدة عن سر ذلك الصمت العنيد ؛ فأجابني بأنهم لم يعتادوا أن يتكلم إليهم أحد في تلك الأمور ، غير مسجل الندوة . فطلبت إليه أن يكرر عليهم قولي ، ففعل ، فكان يكرر القول « هكذا تكلم الدوق وهكذا قال » ولم يزد شيئاً واحداً من عنده تأكيداً لذلك . ولما انتهى من خطابه قذف بعض أتباعي في مؤخرة الصالة بقبعاتهم في الهواء ، وهتف ما

يقرب من عشرة رجال . صان الله الملك ريتشارد ؟ فانتهزت هتاف هذه الفئة القليلة وقلت : « شكراً لكم ، أيها المواطنون والأصدقاء الأحباء ، إن هذا الاستحسان العام ، وتلك الهتافات المستبشرة التي انبعثت منكم جميعاً لدليل على حكمتكم وحبكم لريتشارد » وعند ذلك غادرت الاجتماع وحضرت إلى هنا .

غلوستر : يا لهم من أحجار بُكْم ! أهكذا رفضوا أن ينطقوا ؟ .

بكنغهام : نعم ، وأيم الحق ، يا سيدي اللورد .

غلوستر : ألن يحضر العمدة ورفاقه إذن ؟ .

بكنغهام : إنه هنا قريب ـ والآن يا سيدي اللورد الكريم فلتتظاهر بشيء من الوجل ، وبأنك غير راغب في الكلام إلا برجاء وإلحاح . ولتحمل في يدك كتاباً من كتب الصلوات ، ولتقف بين رجلين من رجال الدين ، فسأصنع من تلك النغمة لحناً بديعاً مقدساً ، ولا تجب على سؤالنا بسهولة ؛ بل كن كالعذراء لا تجيب إلا بـ « كلا » ، وهكذا يتم لك الأمر .

غلوستر : سأغادر ـ وإذا استطعت أن تلح في سؤالي بالنيابة عنهم كما سألح في الرفض ، فلا

ريب أننا سننجح في تدبيرنا .

بكنغهام : هيا ـ اذهب إلى الفناء فإن العمدة يطرق الباب .

(يدخل العمدة وبعض المواطنين الفناء)

مرحباً يا سيدي اللورد ـ إني ما زلت في الانتظار هنا . يبدو أن الدوق لا يرغب أن يتكلم إليه أحد في ذلك الشأن .

(يدخل كتسباي)

كتسباي ، ما رأي مولاك اللورد فيما سألت ؟

كتسباي : إنه يرجو فخامتك ، يا سيدي اللورد الكريم ، أن تزوره غداً أو بعد غد . فإنه في الداخل برفقة اثنين من آباء الكنيسة الأجلاء ؛ يقضون الوقت في الصلاة والتأمل . ولا يستطيع أن ينصرف عن ذلك العمل المقدس ، إلى التفكير في أمور الحياة الدنيا .

بكنغهام : ارجع ، أيها السيد الطيب كتسباي ، إلى الدوق الجليل ، قل له إننا ، أنا والعمدة ، وبعض أعوانه ، قد أتينا لنتكلم إلى فخامته في أمور خطيرة الشأن ، تتصل بصالحنا جميعاً .

كتسباي : سأنقل إليه من فوري جميع قولك يا سيدي .

(يخرج)

بكنغهام : آه ـ ها ! إن هذا الأمير يا سيدي اللورد شيء غير إدوار ، إنه لا يمضي نهاره متقلباً في فراش الدنس ، بل يقتضيه جاثماً يصلي ؛ ولا يصرف وقته لاهياً مع مومسين ، بل يصرفه متأملاً مع قسين ورعين ، ولا ينام ليزداد جسده المسترخي لحماً وشحماً ، ولكن يصلي لتزداد نفسه العاكفة ورعاً وتقوي . يا لحظ إنكلترا السعيد ، لو قبل هذا الأمير الورع ، أن يكون ملكاً عليها ! ولكني أخاف ألا تتمكن حقاً إقناعه بالقبول .

العمدة : لا قدّر الله أن يرفض !

بكنغهام : أخشى أن يفعل . ها هو ذا كتسباي قد أتى ثانية . (يعود كتسباي)

كتسباي : إنه يعجب لماذا جمعت هذا اللفيف من أهل المدينة ليتحدثوا إليه ، دون أن تعلموه بذلك من قبل ؟ وهو يخشى يا سيدي اللورد أنك لا تنوي خيراً .

بكنغهام : إنه ليحزنني أن يعتقد ابن عمي النبيل ،

أني لا أنوي خيراً ، فوالله ما أتيت إلا
بدافع من حبي البالغ له ، فارجع إليه ،
ويلغه ما أقول .

(يدخل كتسباي عليه مرة أخرى)

حين يمسك الأتقياء بمسابحهم يغدو
صرفهم عنها أمراً صعباً . كم هو جميل أن
يستغرق المرء في التأملات الحارة !

(يدخل غلوستر منتصب القامة بين أسقفين ويعود
كتسباي)

العمدة : أنظر كيف يمشي بين اثنين من رجال
الدين .

بكنغهام : إنهما ، لأمير مسيحي ، عمادان من
الفضيلة يعصمانه من الانزلاق في مهاوي
الغرور ، أنظر !إن في يده كتاب صلاة !
إنها أمور تزين حقيقة الرجل أيها الأمير
النابة الأجل من آل بلانتاغنيت اسمع
سؤالنا بأذن صاغية ، وأغفر لنا إخراجنا
إياك من صلاتك وعكوفك الذي هو شيمة
المسيحي الورع .

غلوستر : لا حاجة بكم إلى الاعتذار ، يا سيدي
اللورد ، بل إن عليَّ أنا أن أطلب إليكم

المغفرة . إذ تأخرت في الخروج إلى
أصدقائي ، لانصرافي إلى عبادة الله .
وبعد ، فماذا تودون أن تقولوا لي .

بكنغهام : ما يرضي الله في سمائه ، ويرضي الأخيار
جميعهم من أهل الجزيرة التي لا حاكم
الآن لها .

غلوستر : أخاف أن أكون قد اقترفت ذنباً أغضب
أهل المدينة ، فأتيتم تنعون عليَّ
جهالتي .

بكنغهام : لقد اقترفت ذنباً ، يا سيدي اللورد ،
ونأمل أن تستجيب ، فخامتك ، لتوسلاتنا
وتكفر عنه .

غلوستر : ما كنت مسيحياً إن لم أفعل .

بكنغهام : إذن فاعلم أن ذنبك أنك تتخلى عن
المنصب السامي ، والعرش الجليل ،
وصولجان أجدادك ، والمكانة التي وهبها
إياك حظك ، وجعلها نسبك من حقك ،
ومجد آبائك ، وبيتك الملكي ؛ تتخلى
عن ذلك كله ليفسد فيه بيتٌ غير صحيح
النسب ؛ وتستغرق أنت في سبات أفكارك
الطيبة ، التي أتينا نوقظك منها ، لصالح
هذه البلاد . بينما تحتاج هذه الجزيرة

المجيدة إلى سواعد أبنائها الصادقين ؛
بعد أن شوهت وجهها كلوم العار ،
واختلطت شجرة أسرتها الملكية بأشجار
خبيثة ، وكادت تنزلق في هوة مرعبة من
النسيان الأعمى والخفاء الدامس ، لذلك
الآن ، من قلوبنا ، أن تقدم ـ لكي
تخلصها ـ فتحمل العبء ، وتقوم بحكم
بلادك هذه ، لا وصياً ، ولا قيِّماً ، ولا
نائباً ، ولا وسيطاً قليل الشأن لصالح
إنسان آخر ، ولكن ملكاً يحكم دولته بحق
وراثته الملك كابراً عن كابر ، وبحق
مولده وبحق دولته ، وبحقه على نفسه .
في سبيل هذه الغاية أتيت أستنهض
فخامتك ، يدفعني إلى ذلك حثاً هؤلاء
المواطنون ، وأصدقاؤك هؤلاء المحبون
الأوفياء .

غلوستر : لست أدري أأمضي في هدوء أم أتكلم
فأوجه إليك اللوم الشديد . أأقول ما
يناسب مشاعري أو ما يناسبك ؟ فربما
اعتقدت ، إنْ لم أرد عليك ، أن الطموح
قد عقد لساني ، وإنني بصمتي قد سلمت
بأن أحمل نير الملكية الذهبي . الذي
تشتاق نفسك إلى أن تضعه على كاهلي ،

وإن وجهت إليك اللوم لمطلبك هذا
الممزوج بودك وإخلاصك لي ، فربما
ساء ذلك أصدقائي من جهة أخرى ،
لذلك سأتكلم حتى لا تظن بي أول
الأمرين، وسأتكلم على نحو يجنبني
ثانيهما ؛ فأقول بصراحة إن حبك لي
يستحق شكري . ولكن قدري المتواضع
يأبى أن أجيبك إلى مطلبك الخطير . فلو
أن جميع المصاعب قد ذللت ، وأصبح
طريقي سهلاً ممهداً إلى التاج ، الذي
يواتيني بفضل نضوج سني ، ونضوج
رأيي ، وبحكم مولدي ، فإنه لخير لي ،
أنا الضعيف الهمة العظيم النقائص ، أن
أتوارى عن الدرب الذي يؤدي إلى
العظمة ، من أن اشتهي أن أتوارى بعد أن
أظفر بها وأختنق في غبار مجدي . فلست
سوى مركباً لا يقدر أن يحتمل عباب البحر
على أني أحمد الله إذ لا حاجة بكم إليَّ ،
وليس لي من القدرة ما أعينكم به ، إن
طلبتم مساعدتي ، فإن الشجرة الملكية قد
تركت لنا ثمرة طيبة ، سينضجها مرور
الزمن السريع ، فيصبح أهلاً للعرش
العظيم ، ويسعدنا بحكمه دون شك .
ولذا فإني ألقي عليه ذلك العبء الذي

أردتم إلقاءه عليَّ ، فإنه من نصيبه ، ومن حق طالعه السعيد ، فلا قدر الله أن أغتصبه من يديه ! .

بكنغهام : سيدي اللورد ، ذلك دليل على ما لفخامتك من ضمير حيّ . ولكن تلك الأسباب التي أومأت إليها تافهة . غير جديرة بالتقدير ، إذا تدبرنا جميع الظروف . إنك تقول إن أدوار ابن شقيقك ، وكذلك نقول ، ولكنه ليس من زواج إدوار ؛ فإن شقيقك كان قد خطب السيدة لوسي في أول الأمر ، ولا تزال والدتك على قيد الحياة ، تشهد على ذلك العهد . ثم إنه خطب بعد ذلك ـ بالوكالة ـ « بونا » شقيقة ملك فرنسا ثم تحول عنهما إلى من ليست صنواً له ، إلى أرملة كئيب ووالدة لأطفال عدة ، قد أبلتها الأحزان ، وأوشك جمالها على الأفول ، تمكنت وهي في خريف شبابها ، أن تأسر عينيه المليئتين بالشهوة ؛ وأن تنزل بطموحه من عليائه ، إلى درك زواج مهين لا شرعي وبهذا الزواج اللاشرعي أنجبت له إدوار هذا ؛ الذي يأبى لنا حسن الخلق إلا أن ندعوه أميراً . ولولا احترامي لبعض الأحياء

لأطلقت للساني العنان ، وأفضت في الأمر على نحو أعنف . لذلك أسألك ، يا سيدي اللورد الكريم ، أن تقبل هذا المركز السامي الذي نعرضه عليك ، إن لم يكن لصالحنا وصالح هذه البلاد ، فلكي تعلّي من نسبك النبيل من حفرة الفساد ، التي دفعه إليها هذا الزمان الذميم ؛ ليرجع نسباً صحيحاً صادقاً .

العمدة : إقبل ، يا سيدي اللورد الكريم ، فإن أبناء وطنك يضرعون إليك .

بكنغهام : لا ترفض ما نبذل لك من موالاة ، أيها السيد الجليل .

كتسباي : أجب مطلبهم الحق ، وأدخل البهجة إلى نفوسهم .

غلوستر : يا ويلتاه ! لم تلقون هذه الهموم على عاتقي ولست أصلح للحكم والملك ، طلبت منكم ألا يسؤوكم ما أتكلم به ، ولكني لا أتمكن ، ولن أستطيع ، أن أستجيب لكم . .

بكنغهام : قد ترفض لأننا نعرف أنك تحب ابن شقيقك الصغير أصدق الحب ، وتأبى أن تنتزعه من العرش ونعرف رهافة فؤادك ، وما في نفسك من رأفة حانية ، نحو ذوي

قرباك ، بل تجاه الناس جميعاً على السواء ؛ ولكن سواء أجبت دعوتنا أو رفضتها ، فإن ابن شقيقك لن يكون ملكاً علينا . فسنولي على العرش امرءاً آخر ، وسيقضي ذلك على بيتكم ، وسيغمره بالعار وعلى هذا الرأي سنخرج الآن من عندك ، هيا أيها المواطنون ، فوالله لن أتوسل أكثر مما فعلت .

غلوستر : لا تحلف يا سيدي اللورد بكنغهام .

(يخرج بكنغهام مع أهل المدينة)

كتسباي : أدعه ثانية يا سيدي الأمير الكريم ، واقبل دعوتهم . فلتفعل يا سيدي حتى لا تحزن البلاد جميعها .

غلوستر : أتدفعونني إلى حياة مليئة بالهموم ؟ إذن نادوهم ثانية ، فإني لم أقدّ من صخر ، وقد نفذت تضرعاتكم إلى قلبي ، رغم ما ألقاه من ضميري وروحي من سخط .

(يعود بكنغهام ومن معه)

يا ابن العم بكنغهام ، وأنتم أيها السادة الحصفاء الحازمون ، ما دمتم ترفضون إلا أن تضعوا نير المجد الثقيل على كاهلي ، قبلت أو لم أقبل ، فسأتقدم لكي أحمله

بصبر وأناة . وأرجو أن يبرئني إجباركم
إياي ، من كل ما يمكن أن يدنس
صفحتي أو ينعتني به الناس من تآمر ؛ إن
لحقتني الفضيحة النكراء من جراء ذلك ،
أو أطل عليَّ اللوم بوجهه المشوّه . فالله
يعرف ـ وأنتم قد ترون ـ ألا رغبة لي في
ذلك المركز .

العمدة : بارك الله في فخامتك ! لقد شاهدنا
وستحدث بما أبصرنا .

غلوستر : ولن يكون كلامك هذا إلا الحق .

بكنغهام : إذن فإني أحييك بتحية الملك : ليحيا
ريتشارد ملك إنكلترا .

الجميع : آمين .

بكنغهام : أتوافق على أن تتوج غداً ؟ .

غلوستر : متى تريدون ما دمتم ترغبون ذلك .

بكنغهام : إذن فسنأتي إلى فخامتك غداً . أما الآن
فإنا وقد استخفنا السرور نستأذن في
الانصراف .

غلوستر : هيا ـ ولنعد نحن إلى صلاتنا المقدسة .
إلى اللقاء يا ابن العم . إلى الملتقى أيها
الأصدقاء .

(يذهبون)

الفصل الرابع

المشهد الأول

أمام القلعة

(تدخل من ناحية الملكة أليزابيت ودوقة يورك والمركيز دوريست. من ناحية أخرى آن وتدخل دوقة غلوستر ومعها مارغريت بلانتاغنيت ابنة كلرنس الصغيرة)

الدوقة : من نجد هنا ؟ حفيدتي بلانتاغيت في يد عمتها الرحيمة دوقة غلوستر ؟ تالله إنها لذاهبة إلى القلعة يحثها حب قلبها الطاهر إلى زيارة الأميرين . مرحباً بك يا ابنتي .

آن : أسعد الله صباحكما وطاب وقتكما .

الملكة أليزابيت : سعد صباحك يا شقيقتي العزيزة ! إلى أين ؟

آن : إلى القلعة وأعتقد أنكم ذاهبون مثلها لزيارة الأميرين ، يحثكم الوفاء كما يدفعنا .

الملكة أليزابيت : شكراً لك يا شقيقتي العزيزة سندخل جميعاً معاً .

(يقبل براكينبري من القلعة)

ها قد أتي رئيس الحرس أوان حاجتنا
إليه ، ما أنباء الأمير وولدي الصغير يورك
إن سمحت لي أن أسألك أيها الرئيس ؟ .

براكينبري : خيراً يا مولاتي العزيزة . وأرجو أن تعذريني إن لم أتمكن من السماح لك بزيارتهما . فقد أمرني الملك أمراً باتاً ألا أفعل .

الملكة أليزابيت : الملك ! من يكون هذا ؟

براكينبري : معذرة لقد عنيت اللورد الوصي .

الملكة أليزابيت : لا مكّن الله له هذا اللقب الملكي ! أو قد أقام الحدود بين حبهما وبيني ؟ إني والدتهما ، من ذا الذي يقدر أن يحول بيني وبينهما ؟

الدوقة : وأنا والدة أبيهما ، ولا بد أن أراهما .

آن : وأنا عمتهما بالنسب ووالدتهما بالحب . فاذهب بي إليهما وسأحمل عنك التأنيب ووزر تخليك عن عملك .

براكينبري : كلا يا سيدتي - كلا - لن أتخلى عنه على هذا الشكل ، فقد أقسمت يميناً على

الطاعة ، وأرجو المعذرة .

(يمضي إلى الداخل)
(يقف لورد ستانلي)

ستانلي : سيداتي - إنْ وجدتكن بعد ساعة واحدة ، فسأهنيء دوقة يورك أنها عاشت لترى زوجتي أبنيها كلتيهما ملكتين جميلتين ، (إلى آن) هلم يا سيدتي إلى وستمنستر لتتوجي هناك ملكة مع زوجك ريتشارد .

الملكة أليزابيت : أواه ! فليتمزق ثوبي عن صدري لكي يجد قلبي متنفساً لضرباته ، وإلا فقدت وعيي لهذا الخبر المميت .

آن : يا لها من أنباء كريهة مؤلمة .

دوريست : لا تستسلما للقنوط كيف تجدين نفسك يا أماه ؟

الملكة أليزابيت : دوريست ، لا تكلمني . ابتعد عن هذا المكان فإن الموت والخراب يتبعانك ، واسم والدتك شؤم على أولادها . وإن عبرت الموت فامخر البحر وعش مع ريشموند بعيداً عن قبضة الجحيم : هيا ، خلِّص نفسك ، انج من هذه المذبحة

حتّى لا يزداد بك عدد الأموات ، فتظفر
بي لعنة مارغريت وأموت لا والدة ولا
زوجة ولا ملكة من ملكات إنكلترا .

ستانلي : تلك نصيحة سديدة يا مولاتي .
(إلى دوريست) هيا لا تضع وقتاً،
وسأكتب إلى ولدي ليلقاك في طريقك
ويرحب بك، فلا تتأخر واحذر عواقب
التباطؤ .

الدوقة : أي ريح التعاسة المشؤومة ، أي رحمي
الرحيم يا مهد المنون ، لقد أخرجت إلى
الحياة أفعواناً ، تبيد عيناه القاتلتان على
من ينظر إليهما .

ستانلي : هيا يا سيدتي ، هيا فقد أمرت أن أرجع
بك بسرعة .

آن : سأذهب مكرهة ، مرغمة وددت لو جعل
الله تلك الحلقة الأسرة من الذهب تلك
التي ستكلل جبيني ، حديداً متوهجاً
يشوي رأسي حتى الصميم ، وددت لو
نضحت بسم قاتل بدلاً من الزيت
المقدس فأموت قبل أن يهتف الناس :
عاشت الملكة !

الملكة أليزابيت : اذهبي ، اذهبي أيتها البائسة فما أنفس
عليك عزّك ، فليس عليك أن تتمني
لنفسك الضرر مجاراة لي .

آن : ولم لا ؟ لقد كنت أمشي خلف جثمان
هنري حين أتاني من هو الآن زوجي ،
ولم تكد الدماء قد زالت عن يديه ، تلك
الدماء التي نزفت من زوجي الآخر
الطاهر ، ومن ذلك القديس الغالي الذي
كنت حينئذٍ أمّشي ناحبة خلف جثمانه ،
وحين رأيت وجهه استنزلت عليه اللعنات
قائلة : « فلتحل عليك اللعنة كما جعلت
مني أرملة في ريعان صباي ، وإذا ما
تزوجت فليلازم الحزن فراشك ، ولتشق
زوجتك معك ـ إن لقيت من تقبل بك ـ
كما أشقيتني بموت زوجي العزيز » .
ولكن سريعاً ما أسرت كلماته المعسولة
فؤاد المرأة الغرّ ؛ ولم أعد استنزل عليه
اللعنة ثانية وهكذا لحقتني لعنتي . . فلم
يغمض لي جفن بعد ذلك ؛ ولم تهبط
عليَّ في فراشه ساعةٌ واحدة من ندى النوم
الذهبي . بل ظل يؤرقني بما كان ينتابه
من رؤى مرعبة . وهو إلى ذلك يكرهني
من أجل والد وريك ؛ ولا يشك أنه
سيتخلص مني سريعاً .

الملكة أليزابيت : وداعاً أيتها المسكينة ! إنني أشفق عليك لبلواك .

آن : إن حزني لمصيبتك لا يقل عن إشفاقك علي .

الملكة أليزابيت : وداعاً يا من تستقبل المجد بالحزن والأسى !

آن : وداعاً أيتها المسكينة يا من هجرها المجد !

الدوقة : (إلى دوريست) ـ اذهب إلى ريشموند ـ صحبتك البركة !

(إلى آن) ـ واذهبي أنت إلى ريتشارد ـ رعتك الملائكة !

(إلى الملكة أليزابيت) واذهبي أنت إلى حمى الكنيسة أنزل الله على روحك السكينة ! أما أنا فسأذهب إلى لحدي حيث يرقد معي الأمان والطمأنينة ، لقد شهدت السعادة ثمانين سنة نكراء من الأحزان ، وقاسيت مقابل كل ساعة من السعادة سبعة أيام من الحزن .

الملكة أليزابيت : أبقي قليلاً ، والقي نظرة معي إلى القلعة . أيتها الأحجار القديمة ارحمي هذين الطفلين الرقيقين اللذين ألقى بهما الحسد والكراهية بين أسوارك ! أيها المهد

الخشن لهذين الجميلين ، أيتها المربية الغليظة . أيها الرفيق المتجهم الوجه للأميرين الغضين ، رفقاً بولدي ! والآن أستودعك الله في حزن منغص أيتها الأحجار القديمة .

(تخرجان)

المشهد الثاني

(لندن - القصر)

(صوت أبواق - يدخل ريتشارد في أبهة الملك وعلى رأسه التاج ومعه بكنغهام وكتسباي ومرافق وآخرون).

الملك ريتشارد : تراجعوا جميعاً - بكنغهام يا ابن العم !

بكنغهام : مليكي المعظم !

الملك ريتشارد : ناولني يدك (يصعد على العرش) بمؤازرتك أرقى هذا المجلس السامي وبمساعدتك يجلس الملك ريتشارد على العرش . ولكن ترى أيحيا هذا المجد يوماً واحداً ؟ أم يدوم ونسعد به ؟ .

بكنغهام : ليحيى هذا المجد وليدم إلى الأزل ؟

الملك ريتشارد : أي بكنغهام ، الآن افحص معدنك لأرى إن كان حقاً من الذهب ، إن إدوار الصغير ما زال حياً ؟ أتستطيع أن تحدس ما أبغي أن أقول ؟ .

بكنغهام : فلتقله يا مولاي العزيز .

الملك ريتشارد : عجباً يا بكنغهام أقول إني أريد أن أكون ملكاً .

بكنغهام : ولكنك ملك يا مولاي المعظم !

الملك ريتشارد : ها ! أأنا ملك ؟ أجل ، ولكن إدوار ما زال حياً .

بكنغهام : أميراً نبيلاً وفياً .

الملك ريتشارد : يا له من نذير شؤم أن يبقى إدوار حياً « أميراً نبيلاً وفياً » يا ابن العم إنك لم تعودني أن تكون هكذا بطيء الفهم ؟ أنتكلم بوضوح ؟ إني أريد أن يموت ولدا الزنا هذان ، وأحب أن يتم ذلك سريعاً ، فماذا تقول الآن ؟ هيا ـ تكلم سريعاً ولا تتمهل .

بكنغهام : تستطيع جلالتك أن تفعل ما تود .

الملك ريتشارد : صه . صه . إنك بارد كالثلج . إن حبك قد تجمد . قل ، أتوافق على أن يموتا ؟ .

بكنغهام : مولاي العزيز ، أعطني بعضاً من الوقت ، مهلة قصيرة قبل أن أجيب إجابة حاسمة عن هذا السؤال : وسأخبر جلالتك سريعاً برأيي

(يخرج)

كتسباي : (إلى أحد الحضور على انفراد) إن الملك حانق ، أنظر كيف يعض شفته .

الملك ريتشارد : سأشاور القساة من البلهاء والمتهـورين من الرجال ؛

(يهبط عن عرشه)

فليس لي شأن بذوي التفكر والبصيرة . لقد أصبح بكنغهام البعيد الأطماع حريصاً متردداً . يا غلام .

المرافق : مولاي ؟

الملك ريتشارد : هل تعرف أحداً يستطيع وميض الذهب أن يغريه باقتراف جريمة قتل في السر ؟ .

المرافق : أعرف يا مولاي سيداً ساخطاً ، من أولئك الذين لا يلائم فقرهم ما لديهم من طموح ، ولا شك أن الذهب سيكون عنده أفوَه من عشرين خطيباً ، وسيغريه بأن يفعل أي شيء .

الملك ريتشارد : ما اسمه ؟

الوصيف : اسمه ، يا مولاي ، تيرل .

الملك ريتشارد : لقد سمعت عنه ـ اذهب واحضره إلى هنا يا غلام .

(يخرج المرافق)

لن يكون بكنغهام المـراوغ الماكـر مستشاري بعد الآن . هل قد طال كفاحه من أجلي إلى هذا الحد حتى يطلب الآن

متنفساً . فليكن !

(يدخل ستانلي)

ما وراءك يا لورد ستانلي ؟ .

ستانلي : سمعت يا مولاي العزيز أن المركيز دوريست قد هرب إلى ريشموند حيث يحل الآن في الجهة الأخرى .

(يقف جانباً)

الملك ريتشارد : إقترب مني يا كتسباي ، أذعْ في الناس أن زوجتي آن عليلة ، مشرفة على الموت . وسآمر ألا يزورها أحد ، ثم أبحث لي عن رجل مسكين غير مشهور النسب ، لأزفّه في الحال من ابنة كلرنس أما ابنه فإنه أحمق لا أخاف منه شراً . ما لك تقف هكذا كالحالم ؟ هأنذا أردد ما قلته لك ، أذع أن زوجتي عليلة مشرفة على الموت هيا ! فإني مهتم بأن أحطم كل أمل في أن يلحق بي ضرّ في المستقبل .

(يخرج كتسباي مسرعاً)

ولا بد لي أن أقترن بابنة شقيقي وإلا سيبقى ملكي مستقراً على زجاج هش . أقتل شقيقها ثم أقترن بها ! يا لها من طريق إلى النجاح محفوفة بالمخاوف ! ولكني قد غطست الآن في الدماء ، ولا

بد أن تدفع الخطيئة إلى الخطيئة ، ولا
مكان لعبرات الرأفة في عينيّ .
(يعود المرافق مع تيرل)
هل اسمك تيرل ؟ .

تيرل : جايمس تيرل ـ خادمك المطيع .
الملك ريتشارد : أحقاً أنت كذلك ؟
تيرل : إفحصني يا مولاي الكريم .
الملك ريتشارد : أتجرؤ أن تقتل أحد أصدقائي ؟ .
تيرل : إني لأفضل من أجل مرضاتك أن أقتل
اثنين من خصومك .
الملك ريتشارد : لقد فهت عما في نفسي ـ خصمان لدودان
يقضّان راحتي ويزعجان نومي الهادىء ،
وهما اللذان أود منك أن تقتلهما يا تيرل .
أعني ابنيْ الرذيلة هذين اللذين يحلاّن في
القلعة .
تيرل : دعني أدخل إليهما فأجنبك سريعاً
مخافتهما .
الملك ريتشارد : إن كلامك كالشدو العذب ـ اسمع ،
اقترب مني يا تيرل تناول هذا الإذن مني
هيا وأعرني سمعك ،
(يهمس إليه)
هذا كل ما هناك . قل إنك ستفعل ،

أجازيك بمودتي ومالي .

تيرل : سأفعل يا مولاي في الحال .

الملك ريتشارد : هل نسمع نبأ منك يا تيرل قبل أن نذهب إلى السرير

تيرل : نعم يا مولاي .

(يخرج ويرجع بكنغهام)

بكنغهام : مولاي - لقد فكرت فيما عرضته عليَّ مؤخراً .

الملك ريتشارد : دعك منه - لقد هرب دوريست إلى ريشموند .

بكنغهام : لقد سمعت بالخبر يا مولاي .

الملك ريتشارد : إنه ريشموند نجل زوجتك يا ستانلي فتدبر الأمر .

بكنغهام : مولاي - إني أطلب جائزتي التي حلفت بالله وبشرفك أن تكون لي : ولاية هيرفورد ومتاع الملك الذي وعدتني به .

الملك ريتشارد : راقب زوجتك يا ستانلي فستكون مسؤولاً إن هي راسلت ريشموند .

بكنغهام : *ماذا تقول جلالتك في طلبي العادل ؟*

الملك ريتشارد : إني أذكر أن هنري السادس قد تنبأ لريشموند لما كان طفلاً ساذجاً أنه سيصبح ملكاً ملكاً ! ربما . . . ربما .

بكنغهام : مولاي !

الملك ريتشارد : كيف لم يقدر ذلك المتنبيء أن يتنبأ لي وقد كنت موجوداً إني سأقتله .

بكنغهام : مولاي ، وعدك بلقب الولاية .

الملك ريتشارد : ريشموند ! لما كنتُ آخر مرة في إكستر شاء العمدة أن يحتفي بي فأراني القصر وقال إن اسمه « روغمونت » وقد هلعت حين سمعت هذا الاسم ، إذ كان عرّاف أيرلندي قد أخبرني ذات مرة ؛ إني لن أحيا طويلاً بعد أن أرى ريشموند .

بكنغهام : مولاي .

الملك ريتشارد : أجل ـ كم الساعة ؟

بكنغهام : إني أجرؤ فأذكّر جلالتك بوعدك الذي وعدتني به .

الملك ريتشارد : نعم ، لكن كم الساعة ؟

بكنغهام : تكاد أن تدق العاشرة .

الملك ريتشارد : أتركها تدق .

بكنغهام : لم تقول هذا ؟

الملك ريتشارد : لأنك ، كرقاص الساعة ، تدأب على التمايل بين استعطافاتك وما أنا مستغرق فيه من التفكير . وليس بي اليوم رغبة في الهبات .

بكنغهام : هل تفضلت فأرحت فكري وأجبتني إلى مطلبي .

الملك ريتشارد : إنك تضايقني لا رغبة لي اليوم .

(يخرج الجميع ما عدا بكنغهام)

بكنغهام : أهكذا ـ يكافئني عن خدماتي الوفية بمثل هذا الازدراء ؟ ألهذا جعلت منه ملكاً ؟ فليكن لي درس في مقتل هستينكز ولأسافر إلى « بركنوك » قبل أن يسقط رأسي المليء بالمخاوف .

(يخرج)

المشهد الثالث

(المنظر نفسه)

(يدخل تيرل)

تيرل : لقد تمت الفعلة المجرمة ، أفظع ما اقترفته هذه اليد من مجازر مفجعة ، لقد بكى ديتون وفورست اللذان عهدت إليهما اقتراف تلك المجزرة الرهيبة . بكيا كالأطفال ، وذابا من الرحمة والعطف ، وهما يرويان لي ما فعلا ، رغم أنهما نذلان ضاريان ككلاب الصيد . « وقال ديتون : انظر ! هكذا كان يرقد هذان الطفلان الوديعان » « وقال فوريست : هكذا ، هكذا، متعانقين » ، بسواعدهما المرمرية البريئة . وكانت شفاههما ، كزهرات أربع على أعوادها ، تلثم كل واحدة أختها ، وقد خلع الصيف عليها جماله . وكان على مخدتهما كتاب صلاة ، وقد كدت أتراجع عن عزمي حين رأيت أحدهما . ولكن يا للشيطان . . » وهنا توقف الشرير .

على حين اتابع ديتون الحديث قائلاً :
« وقطعنا فنن أكمل ما أبدعته الطبيعة منذ أقدم الأزمان » وامتلأت نفساهما بالحسرة والندم ، فلم يقدرا أن يستكملا الحديث . وهكذا تركتهما لأحمل الخبر إلى الملك السفاح . وها هو ذا قد أتى .

(يدخل الملك ريتشارد)

سلاماً أيها الملك .

الملك ريتشارد : عزيزي تيرل ! هل معك من الأخبار ما يفرحني ؟ .

تيرل : إن كان يفرحك اقتراف ما أمرتني به ، فأنت تستطيع أن تفرح ، إذ قد تم ما بغيت يا مولاي .

الملك ريتشارد : ولكن هل تأكدت بنفسك من مصرعهما ؟

تيرل : نعم يا مولاي .

الملك ريتشارد : ودفنا يا عزيزي تيرل ؟

تيرل : لقد دفنهما قسيس القلعة ، ولكني لا أعرف عن يقين كيف ولا أين .

الملك ريتشارد : تعال إليَّ يا تيرل ، بعد العشاء . فأروِ لي كيف صرعا . ولا يخامرك ريب في أني سأكافئك وأحقق لك آمالك . فإلى اللقاء بعد حين .

تيرل : إني لأرجو خاشعاً أن تسمح لي بالخروج .

(يخرج)

الملك ريتشارد : لقد سجنت ابن كلرنس بمعزل عن الناس ، وزوجت ابنته ، في غير ما وازع ، لغير كفؤ ، بينما يرقد نجلا إدوار في أحضان المنون . وقد ودعت زوجتي آن هذه الحياة الدنيا . والآن فلأذهب إلى ابنة شقيقي أليزابيت الصغيرة خطيباً موفقاً سعيداً . فإني أعرف أن ريشموند ـ في مقامه ببريتاني ـ يفكر في زواجها ليستطيع بهذا الختن أن يتطلع في اعتزاز إلى التاج .

(يدخل كتسباي)

كتسباي : مولاي .

الملك ريتشارد : بأنباء حسنة أتيت هكذا فجأة ، أم بأنباء سيئة ؟ .

كتسباي : سيئة يا مولاي . فقد هرب « إيلي » إلى ريشموند ، وأعدّ بكنغهام قواته ، يساعده رجال ويلز الأقوياء ، ولا تزال قوته في تزايد .

الملك ريتشارد : إن إيلي وريشموند يثيران هاجسي ، أكثر

مما يثيره بكنغهام وجيشه ، وهذا الذي
أعدّه على عجل . هيا - فإن التفكير
المليء بالجبن ، خادم أمين للتأجيل
الأبله ، والمماطلة توصل إلى العجز الذي
يمضي ببطء كالسلحفاة . فلتكن السرعة
الخاطفة جناحي ؛ سرعة رسول
« جوبيتر » لتعلن وصول الملك ! إن
سلاحي هو مستشاري - فهيا أجمع لنا
رجالاً ، فما يلزم أن نضيع وقتاً ، والخونة
في ساحة المعركة .

(يخرجان)

المشهد الرابع

أمام القصر

(تدخل الملكة مارغريت)

الملكة مارغريت: الآن أوشكت الفرحة أن تصل إلى أقصاها ، وتقع في فم الموت العفن . لقد بقيت في معتزلي هذا أنتظر غروب نجم أعدائي . وها أنا ذي أشهد البداية المرّة . وسأرحل إلى فرنسا آملة أن تكون النهاية مثلها ، مرة ، حالكة ، مهلكة . فلترحل الآن مارغريت الشقية . من الآتي .

(تدخل الملكة أليزابيت ودوقة يورك)

الملكة أليزابيت : واحسرتاه على أميري الصغير ! واحسرتاه على طفلي اللطيفين ! يا وردتيْ اللتين لم تمهلا حتى تتفتحا ، أي برعمي النديين ! إن كان روحاكما الوديعان لا يزالان يحلقان في الهواء . قبل أن يلجا إلى عالم الموتى السرمدي ، فرفرفا بأجنحتكما

اللطيفة من حولي ، واسمعا نواح والدتكما .

الملكة مارغريت: رفرفا حولها ، وقولا لها إن الجزاء العادل قد حوّل صباحكما الوليد إلى ليل طويل .

الدوقة : لقد سلبتني الويلات الكثيرة صوتي حتى بَكُمَ لساني الذي أثقله الحزن ، أي أدوار بلانتاغنيت . لماذا مت ؟

الملكة مارغريت: بلانتاغنيت ، بلانتاغنيت قضى بدم بلانتاغنيت ومات إدوار جزاء لموت أدوار .

الملكة أليزابيت : رباه ، كيف تخليت عن ذينك الحملين الوديعين وقذفت بهما في أحشاء الذئب ؟ متى رقدت يا إلهي قبلاً لترقد حين أقترف ذلك الإثم ؟ .

الملكة مارغريت: حين صرع هاري الطاهر ، وولدي الحبيب .

الدوقة : أيتها المقلتان الكفيفتان ، أيتها الحياة الميتة . يا طيفاً لا يزال يعيش بين الأحياء ، يا صورة البؤس ويا عار الحياة ، ويا من يغتصب دوامك على قيد الحياة من القبر بعض حقه . يا كتاباً سجلت فيه أيام الشقاء في اختصار وعدم وضوح ، أريحي

نفسك المتعبة على أرض إنكلترا ، التي
كانت ذات قانون ، فأضحت ـ رغم
القانون ـ سكرى بدماء الأبرياء .

(تجلس)

الملكة أليزابيت : آه ، أيتها الأرض ! لو أنك تقدمين على
تهيئة القبور للناس ، إقبالك على تهيئة
مجالس الأحزان ، إذن لقبرت فيك
عظامي ، بدلاً من أن أريحها بجلستي
هذه ، آه ، أين من هو أحقّ بالحزن
مني ! .

(تجلس)

الملكة مارغريت: إن كان لحزن أن يستمد من قدمه عظمة
تنيف بها عن الأحزان ، فدعي حزني
يأخذ المكانة الأولى . لتكن لشكواي
المكانة العليا . وإن كان لحزن أن يجد
صحبة في أحزان الآخرين .

(تجلس معها)

فأنظر إلى تعاستي تجد فيها تعاستكما. لقد
كان إدوار لي حتى قتله ريتشارد وكان لك
هاري حتى قتله ريتشارد وكان لك إدوار
حتى قتله ريتشارد وكان لك ريتشارد حتى
قتله ريتشارد .

الدوقة : لقد كان لي أنا كذلك ريتشارد فصرعته

أنت ؛ ولا يزال لي « روتلاند » وتأملين أن تقتليه .

الملكة مارغريت: لقد كان لك كذلك كلرنس وقتله ريتشارد لقد دبَّ ، من حظيرة رحمك ، كلب من كلاب الجحيم ، يطاردنا جميعاً حتى الموت . كلب كبرت أنيابه قبل أن تتفتح عيناه ، ليمزق الحملان ، ويلعق دماءها البريئة ؛ ويشوه ما خلق الله ويدنسه . جبار في الأرض تذل له العيون ، التي قرحها النواح ، مما يلاقي أصحابها من حزن . لقد أطلقته رحمك ليطاردنا إلى قبورنا . أيها الرّب البرّ ، المنصف ، المنتقم ، كيف أشكرك إذ هيأت الكلب الظامىء إلى الدماء ، لينقض على ما أطلقته رحم أمه من نسل ، فتشارك الآخرين لوعتهم .

الدوقة : أي زوجة هاري ، تبتهجي لمصيبتي ، فالله يشهد لقد بكيت لمصيبتك .

الملكة مارغريت: لا تضيقي بي فإني عطشى للانتقام ، وأنا الآن أتخم نفسي بمشاهدته . لقد مات ولدك إدوار الذي طعن إدوار ولدي . ومات إدوارك الآخر ، ليكفر عن موت ولدي إدوار . ولم يكن يورك الصغير إلا

مجرد لتمة للانتقام ، فما كان كلاهما كفؤاً
لولدي التام . ومات كلرنس الذي طعن
ولدي إدوار . أما هستينكز الماجن ورفيرز
وفوغان وغراي ، أولئك الخونة الذين
شهدوا تلك المأساة فقد رموا في دياجير
القبـر قبل الأوان وما زال ريتشارد على
قيد الحياة ، رسولاً للجحيم الأسود ،
أبقاه ليقبض له الأرواح ويبعثها إلى هناك
ولكن ما يستحق من خاتمة أليمة موجعة
قـريب جـداً ، إن الأرض لتنشق ،
والجحيم يتلظى ، والشيـاطين تـزأر
والقديسين يبتهلون ، ليعجل الله بالقضاء
عليه . يا رب يا كريم ، إني أتوسل إليك
وأبتهل أن أمح حياته من كتابك حتى أحيا
لأقول « لقد مات الكلب » ! .

الملكة أليزابيت : أواه ! لقد تنبأت لي بأنه سيأتي وقت
أسألك فيه أن تساعديني على لعنة تلك
العنكبوت المتورمة ، وتلك الضفدع
السامة الحدباء .

الملكة مارغريت: لقد قلت عنك حينئذٍ إنك مظهر خاوٍ من
عزي ، وسمّيتك ظلاً شاحباً ومجرد صورة
لملكة ، وطيفاً لما كنته أنـا ، في
الحقيقة . وصفحة وامضة لعزٍّ زائف .

وامرأة رُمي بها إلى القمة لتهبط إلى الأعماق . ووالدة هزأ منها القدر فرزقها مجرد وليدين وحلماً من ماضيك ، وهواء ، وفقاعة ، لها من المجد مجرد الرمز ، وراية ملوّنة يسدد كل الرامين نبالهم إليها . وملكة في ملهاة يتسلى بها الناس على المسرح . أين زوجك الآن ؟ أين أشقــاؤك ؟ وأين ولـداك ؟ أين سعادتك ؟ أين الذين كانوا يتقرّبون إليك ويهتفون لك « عاشت الملكة » ؟ وأين النبلاء الخاضعون الذين كانوا يتوددون إليك ؟ وأين الجنود الذين كانوا يسيرون عند فرسك ؟ تذكري كل ذلك ، وانظري ما أنت عليه الآن . لقد تحولت من زوجة سعيدة إلى أرملة مسكينة فقيرة ، ومن والدة مبتهجة إلى امرأة يبكيها تذكر تلك الكلمة ، ومن ملكة إلى عبدة إكليلها الشقاء . وبعد أن كان الناس يرجونك أصبحت تتوسلين في ذلّ إلى الناس . وبعد أن كنت تهزئين بي ، تسمعين الآن هزئي بك . لقد أصبحت الآن تخافين بعض الناس بعد أن كان الناس كلهم يخافونك ، ولم تعد لك طاعة على أحد بعد أن كان الجميع طوع أمرك . هكذا

دار دولاب العدالة ، وتركتك مجرد فريسة
مسكينة للزمن ، لا تملكين إلا ذكرى
ماضيك ، تزيد من عذابك كلما قارنتها
بحاضرك . لقد أخذت مكاني عنوة ،
والآن ألست تريدين أن تغتصبي من حزني
ما هو أعظم من مكانة رفيعة ؟ الآن يحمل
عنقك الصلف نصف نيري الثقيل وها أنا
ذي أزيح نصفه الآخر عن عنقي الهزيل
لأترك لك العبء كله . وداعاً يا زوجة
يورك ، يا ملكة الويلات الأليمة . لسوف
أضحك بهذه الكوارث الإنكليزية في
مقامي بفرنسا .

الملكة أليزابيت : كم أنت ماهرة في استنزال اللعنات ،
فامكثي قليلاً لتعلميني كيف أستنزلها على
أعدائي .

الملكة مارغريت: اسهري الليل وصومي النهار ، وقارني بين
الفرح الذي مات، والتعاسة التي ما زالت
تعيش، وتخيلي ولديك أجمل مما كانا ،
وأن قاتلهما أبشع مما هو في الحقيقة ،
فإنك حين تكبرين من شأن مأساتك
تزيدين لعناتك سوءاً . وسيعلمك التفكير
في ذلك كيف تستنزلين اللعنات .

الملكة أليزابيت : إن كلماتي وكيلة فزيديها قوة وحدةً بكلماتك .

الملكة مارغريت: ستجعلها تعاستك حادة ماضية مثل كلماتي .

(تخرج)

الدوقة : لمـاذا نتشدق بـالألفاظ عنـد حلول الكارثة ؟ .

الملكة أليزابيت : إنها هواء ينفس عن أتراح أصحابها ، ووريثة الأفراح التي مضت بلا إرث ، وأنفاس تفصح عما في نفوسنا من بؤس ! فافسحي المجال ، فلئن كان ما تقدمه لا فائدة منه ، فإن فيها مع ذلك راحة للقلب .

الدوقة : إن كان الأمر على ما تقولين فلا تأسري لسانك إذن ، ولتنطلق أنفاسنا معاً بالألفاظ المريرة لتخنق ولدي الرحيم كما خنق ولديك الجميلين . إني أسمع دقات طبوله ، فأفيضي في الحديث عن حزنك .

(يدخل الملك ريتشارد يسيرعلى قرع الطبول وصوت الأبواق)

الملك ريتشارد : من يقطع علينا سبيلنا ؟ .

الدوقة : إنها تلك التي كان يجب عليها أن تقطع

عليك السبيل ، بأن تختنقك في رحمها الرحيم ، فلا تقترف ما اقترفت من مجازر وتجلب ما جلبت من كوارث .

الملكة أليزابيت : أتستر هذا الجبين بتاج ذهبي ، وكان يجب ـ لو حق الحق ـ أن يكون بالنار لصرعك الأمير الذي كان هذا التاج من نصيبه ، ولما أنزلت بولدي وأشقائي من ميتة قاسية أخبرني أيها العبد الآثم ـ أين ولداي ؟ .

الدوقة : أيتها الضفدع ، أيتها الضفدع ، أين شقيقك كلرنس وولده الصغير « ند » بلانتاغنيت ؟

الملكة أليزابيت : أين رفيرز الوديع ، وفاغان ، وغراي ؟

الدوقة : أين هستينكز الرؤوف ؟

الملك ريتشارد : أنفخوا في أبواقكم يا حملة الأبواق ! واقرعوا طبولكم يا حملة الطبول ، حتى لا تسمع السماء تلكما المرأتين الثرثارتين وهما تحملان على من باركه زيت الله المقدس .

قلت لكم أنفخوا ـ أقرعوا !

(أصوات أبواق وطبول)

إما أن تتحليا بالصبر وتحسنا الكلام إليَّ ، أو أغرق صيحات شكواكما هكذا في

موسيقى الحرب الصاخبة .

الدوقة : أأنت ولدي ؟

الملك ريتشارد : نعم ، بحمد الله . ولد والدي وولدك .

الدوقة : إذن فلتستمع إلى ما يمليه نفاذ صبري في شيء من الأناة .

الملك ريتشارد : سيدتي ، إن لي من طباعك نصيباً ، فلست أحتمل وقع التأنيب .

الدوقة : أوه ! أتركني أقول !

الملك ريتشارد : تكلمي إذن فلن أسمع .

الدوقة : سيكون كلامي ناعماً هادئاً .

الملك ريتشارد : وسريعاً يا والدتي العزيزة ، فإني في عجلة .

الدوقة : هل أنت في عجلة ؟ يعلم الله ، لقد بقيتُ طويلاً من أجلك في عذاب وألم وشقاء .

الملك ريتشارد : ثم ألم أولد لك في النهاية لأكون سلواك ؟

الدوقة : كلا وحق الصليب المقدس ، فأنت تعرف ، حق المعرفة ، أنك أتيت إلى الأرض لتجعل لي من الأرض جحيماً لقد كان مولدك تعباً موجعاً لي ، وكنت في طفولتك شكساً عنيداً ، وكنت أيام دراستك مخيفاً ، نزقاً ، قاسياً ، وحشيّ الطبع وفي أيام شبابك متهوراً ، مقتحماً ،

مولعاً بالميسر ، وفي رجولتك جافاً ، ماكراً ، مخادعاً ، محباً للدماء ولئن كنت قد أصبحت أكثر رقة ، فلقد أصبحت مع ذلك أكثر أذىً ، تُلقي على بغضائك حجاباً من الرأفة . فأي سلوى إذن تستطيع أن تدّعي ، أنك قد منحتني برفقتك ؟ .

الملك ريتشارد : لعمري ! إنها ليست إلا ساعة « همفري » التي ذهبت فيها لتناول عشائك فحرمت من رفقتي . إن كانت مشاهدتي تؤذيك إلى هذا الحد فدعيني أمض حتى لا أسبب لك أستياءً . دقوا الطبول ! .

الدوقة : طلبت منك أن تسمع كلامي .

الملك ريتشارد : إن كلامك ليفيض مرارة .

الدوقة : اسمع مني كلمة واحدة ، فلن أتكلم إليك بعدها ثانية .

الملك ريتشارد : هكذا ؟

الدوقة : نعم ، فإما أن يقضي عدل الله أن تموت ، قبل أن ترجع منتصراً من هذه الوغى . وإما أن يميتني الحزن والشيخوخة فلا أتطلع إلى وجهك مرة أخرى . فأحمل معك إذن أشد لعناتي ، فتؤودك يوم

المعركة أكثر مما يؤودك كل ما تتسلح به من عدة كاملة . وستقاتل دعاءاتي إلى جانب خصومك ، ويهمس حينئذٍ روحا ولدي إدوار الصغيرين ، إلى أرواح خصومك يعدانهم بالظفر والانتصار ، إنك سفاح محب للدماء ، وبالدماء ستكون نهايتك . لقد كان العار خادمك في حياتك ، وسيصيبك ساعة موتك .

(تخرج)

الملكة أليزابيت : إن لدي أسباباً أقوى لكي أستنزل عليك اللعنات ، ولكني مع ذلك أجد بنفسي عزوفاً عنها ، فحسبي أن أؤمن على جميع دعاءاتها .

الملك ريتشارد : انتظري يا سيدتي ، فلي معك كلمة .

(ينتحي بها جانباً)

الملكة أليزابيت : إنني لم يعد لي أولاد من دم ملكي لتصرعهم . أما بناتي ، أي ريتشارد ، فسيكن راهبات متبتلات لا ملكات نائحات ، فلا تسدد سهامك لتغتال حياتهن .

الملك ريتشارد : إن لكِ ابنة جميلة طيبة تسمى أليزابيت ،

نبيلة من دم ملكي .

الملكة أليزابيت : أمن أجل هذا يجب أن تموت ؟ أواه ! دعها تحيا وسأفسد أخلاقها ، وأشوه جمالها ، وأجلل نفسي بالعار . فأزعم أني خنت فراش إدوار . وألقي على ابنتي قناعاً من العار ، لكي تحيا في مأمن من المجزرة الدامية ، سأظهر للعلن أنها ليست ابنة إدوار .

الملك ريتشارد : لا تظلمي نسبها فإنها من دم ملكي .

الملكة أليزابيت : سأقول إنها ليست كذلك لآمن على حياتها .

الملك ريتشارد : إنما نسبها هو خير أمان لحياتها .

الملكة أليزابيت : وبذلك الأمان وحده صرع شقيقاها .

الملك ريتشارد : كلا فقد ولدا في ساعة سوء طالع .

الملكة أليزابيت : كلا ، ولكن أصدقاء الشر كانوا نحساً عليهما .

الملك ريتشارد : إن القدر المكتوب لا مهرب منه .

الملكة أليزابيت : ذلك حق حينما يكون الابتعاد عن الخير هو الذي يملي القدر . لقد كان من حق ولديّ ميتة أكرم من تلك التي لقياها لو أن

الخير وهبك حياة أكرم .

الملك ريتشارد : إنك تتكلّمين إليَّ كما لو كنت قد قتلت ولدي شقيقي !

الملكة أليزابيت : ولدي شقيقك حقاً ! وقد سلبهما عمهما سعادتهما ، وملكهما ، وقرابتهما ، وحريتهما ، وحياتهما . لقد كان تدبيرك من وراء تلك اليد التي طعنت قلبيهما النديين . ولا ريب أن السكين القاتلة كانت كليلة مثلومة ، حتى أرهفت على قلبك الصلد ، لتعبث في أحشاء حملي الوديعين ، على أن هذا الحديث المتصل عن الأسى يخفف من قساوته فليصمت لساني عن الكلام ، عن ولدي ، إلى أذنيك ، إلى أن تنشب أظافري بعينيك ، وأندفع فأتحطم بدداً على قلبك الصخري ، كقارب بائس فقد أسبابه ، وشراعه ، في بحر الموت الذي لا منجاة منه .

الملك ريتشارد : سيدتي ، فليكتب الله لي الظفر ، فيما أنا مقدم عليه ، من مغامرة خطيرة وحرب دموية ، بقدر ما أبتغي لك ولبناتك من خير ، وأعزف عن أن ألحق بكن أي أذى .

الملكة أليزابيت : وماذا يمكن أن يخفي وجه السماء من خير تستطيع أن تكشف عنه لخيري ؟ .

الملك ريتشارد : صعود بناتك يا سيدتي العزيزة .

الملكة أليزابيت : إلى بعض المشانق حيث تهوي رؤوسهن ؟

الملك ريتشارد : بل إلى العزة ، والشرف الرفيع ، وعلى إشارة من شارات المجد في هذه الأرض .

الملكة أليزابيت : تملق أحزاني إذنْ وقل لي أي منزلة ، وأي عزة وأي شرف . يمكن أن تهبه إلى بنت من بناتي ؟ .

الملك ريتشارد : كل ما أملك ، حتى نفسي ، سأهبها لإحداهن ، حتى يغرق في بحر النسيان . روحك المغضب ، تلك الذكرى الحزينة ، لما تعتقدين أني اقترفته في حقك .

الملكة أليزابيت : عجل إذن ، حتى لا يستغرق كلامك عن عطفك ، أكثر مما يمكن أن يستغرق عطفك نفسه .

الملك ريتشارد : إذن فاعلمي إني أحب ابنتك من كل روحي .

الملكة أليزابيت : ولكن والدة ابنتي تعتقد من كل روحها . .

الملك ريتشارد : ماذا تعتقدين ؟

الملكة أليزابيت : إنك تحب ابنتي حباً بعيداً كل البعد عن روحك ، كما أحببت شقيقيها ، ومن أجل ذلك . أشكرك شكراً بعيداً كل البعد عن قلبي !

الملك ريتشارد : لا تتعجلي وتسيئي فهم ما عنيت ، لقد عنيت أني أحب ابنتك بكل روحي ، وأريد أن أجعل منها ملكة لانكلترا .

الملكة أليزابيت : إذن فقل لي من هذا الذي تريده أن يكون ملكاً لابنتي ؟

الملك ريتشارد : ذلك الذي سيجعل منها ومن غيره ؟

الملكة أليزابيت : ماذا ! أنت ؟ .

الملك ريتشارد : نعم أنا . فما قولك يا سيدتي ؟

الملكة أليزابيت : وكيف تستطيع أن تكسب رضاها ؟

الملك ريتشارد : ذلك ما أريد أن أعرفه منك ، فأنت أعرفُ الناس بطباعها .

الملكة أليزابيت : أتبغي حقاً أن تعرف مني ؟

الملك ريتشارد : من صميم فؤادي يا سيدتي .

الملكة أليزابيت : إذن فابعث إليها مع من قتل شقيقيها ، قلبين داميين محفوراً على أحدهما اسم أدوار ، وعلى الآخر اسم يورك ، ولعلها تنتحب حينئذٍ ، فابعث إليها منديلاً غمس

في دم روتلاند ، كما أرسلت مارغريت ، ذات مرة ، إلى والدتك ، وقل لها إنه أُشربَ عصارة الحياة الحمراء من جسد شقيقها الوسيم ، وأسألها أن تجفف به دموعها . فإن عجز هذا الإغراء عن استمالة قلبها إليك ، فابعث إليها قصة أعمالك المجيدة ، وأعلمها أنك قتلت عمها كلرنس وخالها رفيرز ، أجل ، ومن أجلها ، عجلت بموت عمتها الحبيبة آن .

الملك ريتشارد : إنك تسخرين مني يا سيدتي . فليست هذه هي الوسيلة التي بها أكسب رضى ابنتك .

الملكة أليزابيت : ليست هناك وسيلة أخرى ، إلا أن تصبح إنساناً آخر ، غير ريتشارد الذي اقترف كل هذا .

الملك ريتشارد : سأقول إني اقترفت كل هذا من أجل حبها .

الملكة أليزابيت : كلا ، فإنها حينئذٍ لن تملك حقاً إلا أن تمقتك ؛ إذ ابتعت هذا الود بذلك الإثم الدموي .

الملك ريتشارد : اسمعي ، إن ما كان لا يمكن إصلاحه ، وسيبقى الناس يتصرفون أحياناً بلا حكمة

ثم يأسفون بعد حين على ما فعلوا ، ولئن
كنت قد انتزعت الملك من ولديك ،
فلأعطينه لابنتك حتى أكفر عما اقترفت .
ولئن كنت قد قتلت ما أخرجت رحمك ،
فسأنجب أبناءً من ابنتك ، وليس اسم
الجدة ، بأقل إثارة للحب من اسم الوالدة
الجميل وسيكون أحفادك ، كأولادك ،
وإن جاؤوا من نسلك ، وسيرثون عنك
طباعك ودمك ؛ وسيأتي مولدهم مع ذلك
المخاض الأليم نفسه ، وستحتمل ابنتك
من أجلهم تلك الآلام التي احتملتها
أنت ، عندَ مولدها ، لقد كان أولادك مثاراً
لمتاعبك في صباك ، أما أولادي
فسيكونون عزاءً لك في شيخوختك إنك
لم تفقدي إلا ولدك الملك ، وبهذا الفقد
ستصبح ابنتك ملكة . إنني لا أتمكن أن
أعوّضك كما أود ، فاقبلي إذن ما أستطيع
أن أمنحك من وداد . سيعود ابنك
دوريست ، سريعاً إثر هذه المصاهرة
الجميلة ، من تلك الأرض الأجنبية ،
التي يحس فيها بالخوف ويحيا فيها حياة
غير راضية ، إلى حيث المناصب العالية
والمجد العظيم . وسيدعوه الملك في غير
كلفة « يا أخي » إذ يدعو ابنتك الجميلة

« يا زوجتي » ، وستكونين أنت مرة أخرى
والدة الملك ، وتصلح السعادة المضاعفة
ما قوضْته ويلات الدهر . عجباً إن أمامنا
أياماً كثيرة سعيدة سنشهدها . وستعود
إليك تلك الدموع المسفوحة التي ذرفتها
بعد أن تستحيل إلى جواهر الشرق ،
فتكون قد أكسبتك من السعادة كسباً
مضاعفاً . اذهبي إذن يا أماه إلى ابنتك ،
اذهبي وانتزعيها ، بما لديك من تجربة ،
من شبابها الخجول ، وهيئي أذنيها لسماع
قصة الغزل من خطيبها . وألقي في قلبها
الغض تلك الجذوة المتطلعة إلى الحكم
المجيد . كلّمي الأميرة عن متع الزواج ،
وما فيه من ساعة هنيئة هادئة . وبعد أن
تؤدب ذراعي هذه ، ذلك الثائر الوضيع ،
بكنغهام الأرعن ؛ سأعود مكللاً بالغار ،
لأسوق ابنتك إلى فراش الظافر ! لا ،
وسأروي لها انتصاري ، وستكون هي
وحدها المنتصرة ، قيصراً فوق قيصر ! .

الملكة أليزابيت : ماذا هل أقول : أقول لها أتاك شقيق
والدك خاطباً ؟ أو أقول لها عمك ؟ أو
أقول لها من قتل شقيقيك وأخوالك ؟ بأي
اسم يقبله الله والقانون والشرف وما في

نفسها من حب ، يمكن أن أغري شبابها الرقيق بقبولك ؟ .

الملك ريتشارد : قولي لها إن في تلك المصاهرة سلامة إنكلترا .

الملكة أليزابيت : وستبتاعها هي بحرب مقيمة أخرى .

الملك ريتشارد : قولي لها إن الملك ، الذي يقدر أن يأمر ، يتوسل إليك .

الملكة أليزابيت : لتفعل ما حرمه ملك الملوك ؟

الملك ريتشارد : قولي لها إنها ستكون ملكة عظيمة عزيزة .

الملكة أليزابيت : لتبكي هذا اللقب ، بعد ذلك كما تفعل الآن والدتها ؟

الملك ريتشارد : قولي لها إني سأحبها حباً يدوم إلى الأزل .

الملكة أليزابيت : ولكن إلى متى يدوم ذلك اللقب ؟

الملك ريتشارد : سيظل يستمد منها جمالاً حتى آخر حياتها الجميلة .

الملكة أليزابيت : ولكن إلى متى تدوم حياتها الجميلة ؟

الملك ريتشارد : إلى ما شاء الله وشاءت سنةُ الكون .

الملكة أليزابيت : إلى ما شاء الجحيم وشاء ريتشارد !

الملك ريتشارد : قولي لها إني ، وأنا ملكها ، أعتبر نفسي أحد رعاياها الأوفياء .

الملك أليزابيت : ولكنها ـ وهي رعيتك ـ تنفر من هذا الملك .

الملك ريتشارد : نمِّقي لها كلماتك عني .

الملكة أليزابيت : إن قول الصواب يجب أن يكون دون تنميق .

الملك ريتشارد : إذن فكلميها دون تنميق حديث ودّي .

الملكة أليزابيت : إن قول الصواب دون تنميق فيه كثير من القسوة .

الملك ريتشارد : إن حججك ضحلة ، متسرعة إلى حد بعيد .

الملكة أليزابيت : بل هي عميقة أعظم العمق ، هادئة أعظم الهدوء ، كقبر ولدي المسكينين الهادىء العميق !

الملك ريتشارد : لا تضربي على هذا الوتر يا سيدتي ، فذلك شيء قد انقضى .

الملكة أليزابيت : بل سأضرب عليه حتى تقطع نياط فؤادي .

الملك ريتشارد : بحق القديس جورج وشارة فروسيتي وتاجي .

الملكة أليزابيت : لقد دنست الأول ، وأخزيت الثانية ، واستوليت على الثالث .

الملك ريتشارد : أُقسم . . .

الملكة أليزابيت : لا تقسم شيئاً ، إذ ليس هذا بقسم . فإن القديس جورج الذي دنسته فقد قداسته ،

والشارة التي وصمتها بالخزي ، تخلت عن مزايا الفروسية الحميدة ، والتاج الذي استوليت عليه أزرى بجلاله الملكي . فإن كان لنا أن نصدق شيئاً تقسم به ، فأقسم بشيء لم يصبه منك سوء .

الملك ريتشارد : إذن أقسم بذاتي .

الملكة أليزابيت : لقد أسأتِ إلى ذاتك .

الملك ريتشارد : الآن أقسم بالعالم ،

الملكة أليزابيت : المليء العابق بخطاياك الشريرة .

الملك ريتشارد : وممات والدي..

الملكة أليزابيت : لقد جللت حياتك مماته بالعار .

الملك ريتشارد : إذن أقسم بالله .

الملكة أليزابيت : إن خطيئتك في حق الله أكبر خطاياك . فلو خشيت أن تحنث بقسمك الذي أقسمته به لما تفرّق ذلك الشمل الذي جمعه شقيقك الملك ، ولما قتل شقيقي . ولو قد خشيت أن تحنث بقسمك الذي أقسمته به لازدانت وجنتي ولدي النديتين ، وكان الأميران لا يزالان هنا ، يتنفسان أنفاس الحياة ، بدل أن يكونا ـ كما هما الآن ـ مخدتين طريتين للتراب ، وفريستين للدود ، لحنثك بقسمك ، فبم تستطيع أن تقسم الآن ؟

الملك ريتشارد : بالمستقبل .

الملكة أليزابيت : الذي أثمت في حقه بإثمك في حق الماضي ؟ إن دموعي ستظل تذرف في المستقبل لما اقترفت من خطايا في ذلك الماضي . فما زال الأولاد الذين قتلت آباءهم يعيشون ، وسيبكون في كهولتهم شبابهم المضيع . وما زال الآباء الذين قتلت أبناءهم يعيشون ، كالنباتات الشائخة الذاوية . يبكون مع شيخوختهم ممات أولادهم . فلا تقسم إذن بالمستقبل ؛ فقد أسأت إليه قبل أن تقدم إليه أي خير ، بما اقترفت في الماضي .

الملك ريتشارد : فليكتب الله لي الفوز فيما أنا قادم عليه من حرب خطيرة مع الخصوم ، بقدر نيتي الصادقة في التوبة والفلاح . ولتحل بي اللعنة ، ثم لتحل بي اللعنة ، وليكتب الله والأقدار عليَّ الشقاء ، وليحجب النهار عني نوره ، والليل راحته ، ولتقف كل أبراج سوء الطالع في وجه كل عمل أفعله ، إن لم أمنح ابنتك الأميرة الجميلة ودادي القلبي ، وإخلاصي الصادق ، وودي البريء ، فهي قوام سعادتي وسعادتك ؛ ومن دونها سيحل الموت ، والوحشة ، والخراب ، والدمار ، بهذه

الارض ؛ وبي وبك وبها ، وبكثير من
المسيحيين الأتقياء ، ولا يمكن اتقاء هذا
إلا بتلك المصاهرة ولن يُتقى من دونها .
لذلك كوني لها يا أماه العزيزة ـ ولا بد أن
أدعوك بهذا الاسم ـ شفيعَ حبي ؟ وذكريها
بما سأكون ، لا بما كنت ، وبما سأكون
أهلاً له ، لا بما أنا أهل له الآن . أعلميها
بما نحن فيه من حرج ، وبضرورة هذا
الزواج ، ولا تجعلي لحبك الأحمق الغلبة
على جسام الأمور .

الملكة أليزابيت : أأستجيب هكذا لإغراء الشيطان ؟

الملك ريتشارد : أجل إذا أغراك الشيطان بالخير .

الملكة أليزابيت : أأنسى نفسي لكي أرضى نفسي ؟

الملك ريتشارد : أجل إذا كان في ذكرك لنفسك ظلم
لنفسك .

الملكة أليزابيت : ولكنك قتلت ولديّ ؟

الملك ريتشارد : ولكني سأدفنهما في رحم ابنتك ، حيث
ينسلان في ذلك العش التركي من
نفسيهما نفوساً تكون عزاءً جديداً لك .

الملكة أليزابيت : أأمضي لكي أكسب لك رضى ابنتي ؟

الملك ريتشارد : لتصبحي بذلك والدة سعيدة .

الملكة أليزابيت : سأذهب . وأكتب سريعاً إليَّ فأعلمك
برأيها .

الملك ريتشارد : احملي إليها قبلة من حبي الصادق
(يقبلها) وإلى الملتقى

(تخرج الملكة أليزابيت)

أيتها البلهاء الغفور الطيبة المتقلبة !

(يدخل راتكليف يتبعه كتسباي)

إيه ! ما وراءك من أخبار ؟

راتكليف : مولاي المعظم هناك عند الشاطىء الغربي
يمخر أسطول قوي ؛ وعلى شواطئنا
يحتشد الكثير من محبذينا المترددين
الرعاديد بغير سلاح ولا إرادة لصدّ ذلك
الأسطول ويقال إنه بقيادة « ريشموند » وقد
طوى أشرعته في انتظار قدوم مقدم
بكنغهام ، ليرحب بهم ويساعدهم على
النزول .

الملك ريتشارد : فليذهب أحد أصدقائنا على جناح السرعة
إلى دوق نورفوك وليكن أنت يا راتكليف
أو كتسباي . أين هو ؟

كتسباي : هأنذا يا مولاي

الملك ريتشارد : كتسباي طر إلى الدوق !

كتسباي : سأذهب بأسرع ما يمكن
(إلى راتكليف) وأسرع أنت إلى
سالسبوري ، فإذا وصلتها . . .

(إلى كتسباي) أيها النذل الغبي الأحمق ، لم تقف جامداً هكذا بدل أن تذهب إلى الدوق ؟

كتسباي : قل لي أولاً يا مولاي الجليل ما هي إرادتك الملكية وماذا أبلغه عن جلالتك ؟

الملك ريتشارد : هذا صح يا عزيزي كتسباي قل له : أن يجمع ، في الحال ، أكبر قوة يتمكن من جمعها ، ويلقاني سريعاً في سالسبوري .

كتسباي : سأذهب . . .

(يخرج)

راتكليف : وماذا تريدني جلالتك أن أفعل في سالسبوري ؟

الملك ريتشارد : عجباً ، وماذا تستطيع أن تفعل قبل أن أذهب أنا إلى هناك ؟ .

راتكليف : لقد أمرتني جلالتك أن أسبقك إلى هناك ؛

الملك ريتشارد : لقد بدلت رأيي أيها السيد . .

(يدخل لورد ستانلي)

ما لديك من أخبار ؟

ستانلي : ليس لدي أخبار طيبة يسرك سماعها يا مولاي ؛ ولكنها ليست غايةً في السوء ،

وليس لي بد من ذكرها .

الملك ريتشارد : يا لها من أحجية ! ليست حسنة وليست سيئة ! لم تكلف نفسك هذا ، الالتفاف الطويل ، على حين تستطيع أن تقول ما عندك . بأقصر طريق ؟ مرة أخرى ، ما لديك من أخبار ؟ .

ستانلي : إن ريشموند على ظهر البحر .

الملك ريتشارد : فليغرق هناك ، وليركب البحر ظهره ، ذلك المخادع الرعديد ، ماذا يفعل هناك ؟

ستانلي : لا علم لي يا مولاي الجليل إلا الظن والتخمين .

الملك ريتشارد : قل ماذا تظن ، ماذا تخمن ؟

ستانلي : لقد حرضه دوريست ، وبكنغهام ، ومورتون على القدوم إلى إنكلترا ليطلب التاج لنفسه .

الملك ريتشارد : وهل قد خلا العرش ؟ وهل قد أغمد سيف الملك ، أم مات الملك ، أم اختلت أمور الدولة ؟ من هناك على قيد الحياة من ورثة يورك غيري أنا ؟ ومن ملك إنكلترا غير وارث يورك العظيم ؟ قل لي إذن ماذا يفعل في البحر ؟

ستانلي : إن لم يكن لما قلت ، فلا أستطيع يا مولاي أن أخمن سبباً آخر .

الملك ريتشارد : لا تستطيع أن تخمن إلا أن هذا « الويلزي » قد جاء ليكون مولاك ؟ أخاف أن تنقلب علي وتهرب إليه .

ستانلي : كلا يا مولاي الجليل ، فلا تسيء بي الظن .

الملك ريتشارد : أين إذن جيشك ليصده ؟ أين أجراؤك وأتباعك ؟ أليسوا الآن على الساحل الغربي ينزلون الثوار من سفنهم في أمان ؟

ستانلي : لا يا مولاي العزيز ، إن أصدقائي في الشمال .

الملك ريتشارد : أصدقاء فاترون لريتشارد ! ماذا يفعلون في الشمال ! في حين يجب أن يخدموا ملكهم في الغرب ؟ .

ستانلي : إنهم لم يؤثروا بذلك يا مولاي الجليل ، ائذن لي ، فأجمع أعواني ، وألقى جلالتك ، في أي مكان وزمان تحب .

الملك ريتشارد : نعم ، نعم ، لتذهب فتنضم إلى ريشموند ؟ لن أثق بك أيها السيد .

ستانلي : مولاي المعظم ـ ليس هناك ما يدعوك إلى

الشك في وفائي ، فما كنت يوماً خائناً ولن أكونه .

الملك ريتشارد : حسن ـ اذهب واجمع الرجال ولكن عليك أن تدع ولدك « جورج ستانلي » رهينة هنا . فإن لم تبق على إخلاصك كان رأس ولدك في خطر .

ستانلي : فليكن جزاؤه بقدر وفائي لك .

(يخرج ويدخل رسول)

الرسول : مولاي الكريم . بلغني من بعض الأصدقاء ، إن سير إدوار « كورتني » وشقيقه الأكبر الجلف أسقف « إكستر » مع أعوان كثيرين قد حشدوا قواتهم في « ديفونشير » .

(يدخل رسول آخر)

الرسول الثاني : مولاي ، لقد حشد آل « غلفورد » جيشهم وفي كل ساعة يهرع إلى الثائرين كثير من الأعوان ، وتزداد قوتهم .

(يدخل رسول ثالث)

الرسول الثالث : مولاي ، إن جيش دوق بكنغهام الكبير . . .

الملك ريتشارد : أغربوا عن وجهي أيها الغربان ! لا شيء غير أناشيد الموت ؟ (يلطمه) خذ هذه

حتى تأتيني بأخبار أطيب .

الرسول الثالث : إن الأخبار التي أحملها إلى جلالتك هي أن السيول المفاجئة ، والأمطار الغزيرة قد بددت شمل جيش بكنغهام . وتاه على وجهه وحيداً إلى حيث لا يعلم أحد .

الملك ريتشارد : سألتك المغفرة ! هاك كيسي ليشفي لطمتك . هل أعلن أحد من أصدقائنا الحكماء عن جائزة لمن يأتي بالخائن ؟ .

الرسول الثالث : لقد تم ذلك يا مولاي .

(يدخل رسول آخر)

الرسول الرابع : بلغني يا مولاي أن سير توماس لافيل والمركيز دوريست قد حشدا قواتهما في يوركشير وكذلك فإنني أحمل أخباراً أخرى تسر جلالتك . فقد شتتت العاصفة أسطول بريتاني وأرسل ريشموند مركباً إلى ساحل دورستشير ليسأل مَنْ هناك هل هم من أنصاره . فكان ردهم أنهم قد أتوا مع جيش بكنغهام لمساندته ، ولكنه لم يثق بهم ، ونشر أشرعته ، ورجع إلى بريتاني .

الملك ريتشارد : إلى الأمام ، إلى الأمام ، ما دمنا قد استعدينا للحرب ! إن لم يكن لقتال

أعدائنا من الأجانب ، فلكي نقضي على هؤلاء الثوار في أرض الوطن .

(يعود كتسباي)

كتسباي : مولاي ـ لقد ألقي القبض على دوق بكنغهام . وهذا أطيب ما لديّ من أخبار . ولكن لديّ أخباراً أخرى غير طيبة ، فقد نزل إرل ريشموند مع قوة كبيرة في « ملفورد » .

الملك ريتشارد : إلى سالسبوري ! فربما تقرر هناك مصير معركة حاسمة بينما نتحاور نحن هنا . وليأمر أحدكم أن يحمل بكنغهام إلى سالسبوري وليمض سائركم معي .

(أصوات أبواق . يخرجون)

المشهد الخامس

(بيت لورد ستانلي)

(يدخل لورد ستانلي وسير كريستوف أرزويك وهو قسيس)

ستانلي : أي سير كريستوف ، بلغ عني هذا إلى ريشموند أن ولدي ، جورج ستانلي ، سجين في حظيرة ذلك الخنزير البري السفاح ، فإذا ثرت طاحت رأس جورج ، وهذا ما يمنعني أن أقدم إليه الآن ما في وسعي من معونة ، فامض أنت لسبيلك ، وبلّغ سلامي لعظمته ، وقل له إن الملكة قد وافقت من قلبها على خطبة الملك لابنتها ولكن قل لي ، أين الأمير ريشموند ؟ .

كريستوف : في « بمبروك » ، أو « هارفورد وست » ، في « ويلز » .

ستانلي : ومن معه من أكابر الرجال ؟

كريستوف : سير « ولتر هربرت » وهو محارب مغوار ، وسير « جلبير تالبوت » وسير « وليام

ستانلي » « وإرل أكسفورد » و« إرل بمبروك » ملقي الرعب في القلوب . « وسير جيمي بلنت » و« ريس آب توماس » . مع جماعة من المحاربين الشجعان . وكثير غيرهم من ذوي الشهرة والقدر . وهم الآن في طريقهم إلى لندن إن لم يصدهم عنها أحد .

ستانلي : ارجع إلى مولاك وأبلغه تحياتي وسيعلم رأيي من هذه الرسالة ، إلى اللقاء .

(يخرجان)

الفصل الخامس

المشهد الأول

(سالسبوري - ساحة كبيرة)

(يدخل قائد الشرطة وبكنغهام مع حملة الرماح في طريقه إلى الإعدام)

بكنغهام : أيأبى الملك ريتشارد أن أتكلم إليه ؟

القائد : نعم يا سيدي اللورد الكريم فتجمل بالصبر .

بكنغهام : أي هستينكز ، أي ولدي إدوار ، أي رفيرز وغراي أيها الملك القديس هنري ، وولده الوسيم إدوار ، أي فوغان ، أي جميع من أصابهم الظلم الدنيء والدسائس الخسيسة ، فلتهزأ ، من مصرعي بدافع الانتقام ، أرواحكم الساخطة القلقة ، إن كانت تنظر الآن إليَّ من خلال الغيوم أليس اليوم يا صديقي يوم « تذكار الموتى » ؟ .

الضابط : نعم يا سيدي .

بكنغهام : إذن فهو يوم مصرعي ، إنه اليوم الذي

طلبت من الله ، أما الملك إدوار ، أن يُقضى عليَّ فيه إن خنت أطفاله أو أنسباء زوجته . إنه اليوم طلبت من الله فيه أن تقتلني خيانة من أوليه كل ثقتي ، إنه « يوم تذكار الموتى » لنفسي الخائفة ، إنه اليوم المحتوم الذي تنتهي فيه خطاياي . لقد قذف الله العليم بدعواتي الكاذبة على رأسي جزاءً من استخفافي به ، واستجاب في جد لما سألته إياه في عبث ، وهكذا يجبر سيوف الأشرار أن تتحول نصالها إلى صدور حامليها . الآن حلت عليَّ لعنة مارغريت الثقيلة حين قالت : « وسينفطر قلبك مما يصيبك به من أسى » ولسوف تذكر أن مارغريت كانت تحسن التنبؤ هيا أيها الضباط اذهبوا بي إلى نطع العار ، فالظلم لا يورث إلا الظلم ، والقتل يستتبع القتل .

المشهد الثاني

المعسكر قرب تامورث

(يدخل ريشموند وأكسفورد وهربرت وآخرون بالطبول والرايات)

ريشموند : يا رفاق الوغى ، ويا أوفى الأصدقاء ، يا من جرّحهم حمل نير الاستبداد ، لقد أُقصينا في بطن هذه الأرض دون مبرر ، وها نحن أولاء قد استلمنا كتاباً من أبينا ستانلي ، فيه كثير من الطمأنينة والتشجيع . إن ذلك الخنزير البري الشقي القاتل الغاصب . ذلك الذي نهب حصاد حقولكم الصيفي ، وكرومكم المثمرة ، وأراق دماءكم الحارة كأنها مياه يغسل بها يديه ، واتخذ لنفسه حوضاً من ماء صدوركم الصادية ، إن ذلك الخنزير القذر يقيم الآن ـ فيما بلغنا ـ في قلب هذه الجزيرة بالقرب من مدينة لستر ،وليس بين « تامورث » وتلك المدينة إلا مسيرة يوم ، فسيروا باسم الله أيها الأصدقاء الشجعان ، لتجنوا ، بمحنة حرب دموية

واحدة ، ثمار السلام الدائم .

أكسفورد : إن ضمير كل منا يقوم في قتال ذلك السفاح مقام ألف حسام !

هربرت : ليس لديَّ ريب في أن أصدقاءه سينقلبون عليه ويميلون إلينا .

بلنت : إنه لا أصدقاء له إلا أصدقاء الخوف . وسيهجرونه في أحرج ساعاته .

ريشموند : إن كل شيء يُعيننا فباسم الله سيروا . إن الأمل الصادق سريع يحلق بجناحين ؛ إنه يصنع من الملوك آلهة ، ومن العامة ملوكاً .

(يخرجون)

المشهد الثالث

(ساحة المعركة في بوسورث)

(يدخل الملك ريتشارد بسلاحه مع نورفوك وإرل سري وآخرون)

الملك ريتشارد : ضعوا خيامنا في هذا المكان . بل هنا في ساحة بوسوورث ، أي سري ، لم تبدو هكذا عظيم الاكتئاب ؟ .

سري : إن فؤادي أكثر بهجة من وجهي بكثير !

الملك ريتشارد : أي سيدي اللورد نورفوك !

نورفوك : لبيك مولاي المعظم !

الملك ريتشارد : أي نورفوك ، لا بد لنا أن نصادف شيئاً من اليأس ، أليس كذلك ؟ .

نورفوك : لا بد لنا أن نعطي ونأخذ يا مولاي العزيز .

الملك ريتشارد : هلا أقمتم خيمتي ! فسأقضي الليلة هنا أما غداً ، فأين ؟ لأفرق . ولكن دعونا من هذا . من منكم استطلع عدد الخونة ؟ .

نوفروك : ستة آلاف أو سبعة على الأكثر .

الملك ريتشارد : إيه . إن جيشنا يبلغ ثلاث مرات هذا

العدد ؛ ثم إن اسم الملك قوةٌ كالحصن
وهي تنقص العدو . أقيموا خيمتي هنا ،
هيا أيها الرجال الشجعان ، دعونا ندرس
ساحة المعركة . نادوا بعض الرجال من
ذوي الخبرة ، وليكن النظام والسرعة
رائدنا ، فإن غداً أيها اللوردات سيكون
يوماً حافلاً ،

(يدخل من الجانب الآخر من الساحة ريشموند
وسير وليم برانـدون وأكسفـورد وآخرون
ينصب بعض الجنود خيمة ريشموند)

ريشموند : لقد أفلت الشمس المتعبة ، في شفق
ذهبي وخلفت عربتها النارية وراءها درباً
مؤتلفاً يؤذن بغد مشرق . أي سير وليم
براندون ، ستكون أنت حامل رايتي .
اجلبوا إلى خيمتي ببعض الحبر والورق ،
لأرسم خطة المعركة التي سنخوضها
وسيرها ، وأحدِّد لكل قائد عمله ، وأقسم
جيشنا الصغير قسمة مناسبة ، أما أنت يا
سيدي اللورد أكسفورد ، وأنت يا سير
وليم براندون ، وأنت يا سير ولتر
هربرت ، فأبقوا معي وليظل إرل بمبروك
مع كتيبته . وليحمل إليه كابتن بلنت
الكريم سلامي ، ويبلغه أن يأتيني في

خيمتي ، في الساعة الثانية صباحاً .
ولكن ، بقي شيء واحد يا عزيزي
بلنت ، تقوله لي قبل أن تذهب ؟ أتدري
أين يعسكر اللورد ستانلي ؟ .

بلنت : إن فرقته ـ إن لم أكن أخطأت راياته ـ وما
أعتقد أني فعلت ، ترابط جنوباً على بعد
نصف ميل على الأقل ، من قوة الملك
الحاشدة .

ريشموند : إن تمكنت دون أن تعرض نفسك
للخطر ، أي بلنت العزيز ، فبلغه سلامي
واحمل إليه مني هذه الرسالة الخطيرة .

بلنت : قسماً بحياتي لأفعلن يا مولاي والحين
طابت ليلتك !

ريشموند : طابت ليلتك يا عزيزي الكابتن بلنت ، هيا
أيها السادة ، دعونا نتدبر أمر الغد ، هيا ،
ادخلوا إلى خيمتنا فالهواء بارد رطب .

(يدخلون الخيمة)

(يدخل الملك ريتشارد إلى خيمته مع نورفوك وراتكليف
وكتسباي وآخرون)

الملك ريتشارد : كم الساعة ؟

كتسباي : إنها ساعة العشاء يا مولاي ، التاسعة .

الملك ريتشارد : لن أتعشى الليلة ، عليَّ ببعض الحبر والورق . أأصلحت خوذتي ، ووُضع سلاحي جميعه في خيمتي ؟ .

كتسباي : نعم يا مولاي . لقد أعدّ كل شيء .

الملك ريتشارد : أي عزيزي نورفك ، أسرع إلى أمورك ولا تغفل عن الحراسة ، واختر حراساً تثق بهم .

نورفوك : سأذهب يا مولاي .

الملك ريتشارد : استيقظ غداً مع الطير يا عزيزي نورفوك .

نورفوك : كن مطمئناً يا مولاي .

الملك ريتشارد : كتسباي !

كتسباي : مولاي !

الملك ريتشارد : ارسل موفداً رسمياً مسلحاً إلى كتيبة ستانلي ليطلب منه أن يأتي بقوته قبل شروق الشمس ، وإلا هوى رأس ابنه جورج في كهف الليل المظلم السرمدي .

(يخرج كتسباي)

املأ لي كوباً من النبيذ ، وآتني بساعة ، واسرج حصاني الأبيض ، « سرّي » لمعركة الغد . وأعد لي رماحاً سليمة غير بالغة الثقل . راتكليف !

راتكليف : مولاي ؟

الملك ريتشارد : هـل رأيت لورد نـورثمبرلانـد ذلك الكئيب ؟ .

راتكليف : لقد كان يطوف بالجيش ساعة الغروب ، هو وإرل سرّي ينتقل من فصيلة إلى فصيلة ، ليستثير حماسة الجنود .

الملك ريتشارد : هذا يرضيني . أعطني كوباً من النبيذ فإني ، على غير عادتي ، حزين مهموم ضعها ، هل أعددت الحبر والورق ؟ .

راتكليف : نعم يا مولاي .

الملك ريتشارد : مُرْ حرسي أن يشددوا الحراسة . دعوني الآن وارجع أنت يا راتكليف إلى خيمتي . عند منتصف الليل ، لتساعدني على لبس دروعي . قلت لكم دعوني .

(يدخل ديربي إلى ريشموند في خيمته والنبلاء وغيرهم ماثلون في حضرته)

ديربي : قام النصر والبركة على خوذتك .

ريشموند : منحك الليل البهيم كل راحته يا والدنا النبيل . قل لي ، كيف حال والدتنا الحبيبة ؟ .

ديربي : لقد طلبت مني أن أباركك عنها ، وهي تدعو دائماً لريشموند بالخير . ولكن دعنا من هذا . لقد مرّت الساعات في صمت

وبدأت الظلمات تتكسر في الشرق ،
وخلاصة القول أن الوقت يحتم أن تعجل
بالتأهب للمعركة في الصباح الباكر ، وأن
تتخذ من الطعنات الدامية والقتال المميت
حكماً يقرر مصيرك . أما أنا فإني لم أقدم
عندما كنت أستطيع ، فكيف بي إذا كان
ما آمله لا أقدر عليه ؟ على أني سأتحين
الفرصة للتحايل على الزمن وآتي لنصرتك
في تلك المعركة التي لا يمكن أن يجزم
بنتيجتها أحد وقد أحببت لو استطعت أن
أعلن تأييدي لك . ولكن أخاف أن
ينكشف أمري ، فيقتل شقيقك ، الغض
الإهاب ، جورج ، في حضرة والده .
إلى اللقاء ، فإن ضيق الوقت وحرجه ، لا
يسمحان بتبيان آيات الود وعهوده ، ولا
بالتمادي بتبادل الحديث العذب ، الذي
يشتاق إليه صديقان افترقا طويلاً . ألا
فليهبنا الله فسحة من الوقت ، نقيم فيه
شعائر الودّ هذه . وأقول لك مرة أخرى ،
إلى اللقاء . ولتكن شجاعاً ، وليكتب الله
لك الظفر .

ريشموند : أيها السادة الأحباء رافقوه إلى كتيبته ،
وسأحاول ـ على ما بي من قلق ـ أن

اختلس شيئا من نوم خفيف ، حتى لا
يؤودني النوم الثقيل في الغد ، على حين
ينبغي أن أطير حينئذٍ بجناحي النصر .
ومرة ثانية أقول لكم طابت ليلتكم أيها
النبلاء والسادة الأعزاء .

(يخرجون ويركع ريشموند)

رباه ، يا من أعدّ نفسي قائد جنده ،
ارع ، بعينك الرؤوفة ، جنودي ، وضع
في أيديهم سيوف غضبك الباترة ،
ليستحقوا بضرباتها الثقال ، خوذات
أعدائنا الغاصبين ، ويُطيحوا بها إلى
الأرض ، واجعل منا رسل عقابك لنشكرك
عند الظفر ! إليك أسلم نفسي اليقظى ،
قبل أن يسدل النوم حجابه على عينيّ ،
فأحرسني في رقادي ويقظتي .

(ينام)

(يظهر شبح الأمير إدوار ولد هنري السادس بين الخيام)

الشبح : (إلى ريتشارد) لأجثمن على روحك غداً
أتذكر كيف طعنتي في ريعان شبابي في
توكسبري ؟ فليحل بك القنوط والمنون ،
إذن !
(إلى ريشموند) تشجع أي ريشموند ،
فإن أرواح القتلى من الأمراء المظلومين

تحارب معك ، أنا ولد الملك هنري ،
أتيت ألقي في نفسك الطمأنينة .

(يختفي ويظهر شبح هنري السادس)

الشبح : (إلى ريتشارد) لقد أثخنت جسدي بطعناتك القاتلة قبل أن أنتقل إلى دار الخلود. فليحل بك القنوط والمنون. أنا هنري السادس أبشرك باليأس والموت .
(إلى ريشموند) أيها الورع الطاهر ، فليكتب لك الظفر . أنا هاري ـ الذي تنبأ لكَ بالملك ـ أتيت أطمئنك في منامك .
فلتحيا ولتسعد .

(يظهر شبح كلرنس)

الشبح : (إلى ريتشارد) فلأجثمن على روحك غداً . أنا كلرنس المسكين الذي قتلته خيانتك ، وغسلته في النبيذ الكثيف .
أذكرني غداً في المعركة وارمِ من يدك حسامك المثلوم . وليحل بك القنوط والمنون ! .
(إلى ريشموند) أي سليل لانكستر ، إن ورثة يورك ، الذين ظلموا ، يصلون من أجلك : فلتحرسك في حربك الملائكة الأخيار ! ولتحيا ولتسعد !

(تظهر أشباح رفيرز وغراي وفوغان)

شبح رفيرز : (إلى ريتشارد) فلأجثمن على روحك غداً . ! أنا رفيرز قتيل بومفرت ؛ فليحل بك القنوط والمنون .

شبح غراي : (إلى ريتشارد) أذكر غراي ، وليحل روحك القنوط .

شبح فوغان : (إلى ريتشارد) أذكر فوغان ، ولتصبك خطاياك بهلع يلقي رمحك من يدك ، وليحل بك القنوط والمنون .

الجميع : (إلى ريشموند) قم ! واذكر أن ما اقترف ريتشارد في حقنا من ظلم يثوي في صدره ويهزمه . قم واربح المعركة .

(يظهر شبح لورد هستينكز)

الشبح : (إلى ريتشارد) أيها السفاح الأثيم ، قم مثقلاً بالإثم ، واختم أيامك في معركة دامية ! أذكر اللورد هستينكز وليحل بك القنوط والمنون .
(إلى ريشموند) أيتها النفس الراضية المطمئنة إنهضي ، انهضي ! وخذي سلاحك وحاربي وانتصري من أجل إنكلترا العزيزة .

(يختفي) (يظهر شبحا الأميرين الصغيرين)

الشبحان : (إلى ريتشارد) فلتحلم بولدي شقيقك

الصغيرين اللذين خُنقا في القلعة :
ولنجثمن كالرصاص الثقيل على صدرك
أي ريتشارد ولتثقلنك حتى يحل بك
الخراب والخزي والموت ! إن روحي
ولدي شقيقك يبشرانك بالقنوط والمنون .
(إلى ريشموند) أي ريشموند ـ نم ـ
نم ـ ، نم في أمان واستيقظ في سرور
وحبور ولتحرسك الملائكة بين الأخيار من
شر الخنزير البري ! عش وأنجب نسلاً
سعيداً من الملوك ، إن ولدي إدوار
المسكينين يطلبان لك التوفيق .

(يختفيان) (يظهر شبح آن زوجه)

الشبح : (إلى ريتشارد) أي ريتشارد ـ هذه
زوجتك ، زوجتك التعسة ، آن التي لم
يغمض لها جفن معك ، تملأ الآن رقادك
بالقلق ، أذكرني غداً في المعركة وليسقط
حسامك من يدك . وليحل بك القنوط
والمنون !
(إلى ريشموند) أيها الروح المطمئن أرقد
في سلام : واحلم بالنجاح والظفر
السعيد ! إن زوجة عدوك تدعو لك .

(يظهر شبح بكنغهام)

الشبح : (إلى ريتشارد) لقد كنتُ أول من ساعدك

لتظفر بالتاج ، وكنتُ آخر من ذاق طعم
طُغيانك : إيه ، فلتذكر في المعركة ،
بكنغهام ، ولتمت هلعاً مما تجده في
خطاياك ! أحلم ، أحلم بخطاياك الدموية
وبالموت . ولتصبك غشية تدفعك إلى
القنوط ، ولتلفظ في يأس آخر أنفاسك .
(إلى ريشموند) لقد مت من القنوط قبل
أن أستطيع خدمتك . لكن لا تحزن
وتشجع ! إن الله ، وملائكته الأخيار ،
يقاتلون في صف ريشموند ؛ وسيقع
ريتشارد من علياء مجده

(يختفي)

(يستيقظ ريتشارد من حلمه)

الملك ريتشارد : عليَّ بحصان آخر ! ضمدوا كلومي !
رحماك يا يسوع ، رفقاً لقد كان مجرد
حلم ! أيها الضمير الخائف ، كم
تعذبني ! إن الشموع ترسل لهباً أزرق ،
إننا الآن في منتصف الليل ، لقد غطت
قطرات العرق الباردة الوجلة بدني
المضطرب ، ولكن من أخاف ؟ نفسي ؟
فليس هنا أحد سواي إن ريتشارد يحب
ريتشارد ، إني أنا هو أنا ، أهنا من يود أن
يغتالني ؟ كلا أجل إنه أنا . . . إذن

فلأفر . ولكن أأفر من نفسي ؟ يا له من
سبب ! ولماذا . . . لكي لا أنتقم منها ؟
ولكن أتنتقم نفسي من نفسي ؟ واأسفاً إني
أحب نفسي ، ولم ؟ ألأي خير قدمته
نفسي لنفسي ؟ .
أواه لا . واأسفي بل يجب أن أمقت
نفسي لما اقترفته من خطايا . إني شرير
ولكني أكذب وأدعي أني لست كذلك ،
أيها الأحمق أحسن الثناء على نفسك ،
أيها الأحمق لا تتصنع المدح ! إن
لضميري ألف لسان : وكل لسان يروي
قصة وكل قصة تنطق بأني شرير .
الخيانة ، الخيانة في أبشع صورها ،
والقتل ، القتل الأثيم في أشد أنواعه ،
جرائم مختلفة في صور متعددة ، تزدحم
كلها في ساحة القضاء وتصيح : مذنب
مذنب !
ليس لي إلاّ القنوط فما من أحد يحبني ،
وإذا مت فلن يحزن أحد لموتي . أجل
ولمَ يحزنون ، وأنا نفسي لا أحزن
لنفسي ؟ لقد خيل إليَّ أن أرواح الذين
قتلتهم جميعاً أتت إلى خيمتي ؛ وتوعّد
كل منها بالثأر ينصبّ غداً على رأس
ريتشارد . (يدخل راتكليف)

راتكليف : مولاي ! .

الملك ريتشارد : رباه ! من هناك ؟

راتكليف : إنه أنا يا مولاي ، لقد حيا ديك القرية الصباحَ مرتين ، واستيقظ أصدقاؤك وارتدوا دروعهم .

الملك ريتشارد : لقد رأيت حلماً مزعجاً . أتظن أن أصدقاءنا سيثبتون جميعاً على أخلاصهم .

راتكليف : بدون شك يا مولاي . .

الملك ريتشارد : أي راتكليف إني أخاف . . أخاف . .

راتكليف : لا يا مولاي العزيز ، لا تخف من أشباح .

الملك ريتشارد : وحق « بولس القديس » لقد ألقت الأشباح الليلة في قلب ريتشارد من الفزع ما لا يستطيع أن يلقيه عشرة آلاف مقاتل ، في الحقيقة ، مسربلين في الدروع المحكمة يقودهم ريشموند الأحمق . إن النهار لم يدنو بعد ، فتعال معي أسترق التنصت بين خيامنا لأرى أينوي أحد أن يخونني .

(يخرجان)

(يدخل النبلاء إلى ريشموند وهو جالس في خيمته)

النبلاء : صباح الخير يا ريشموند !

ريشموند : معذرة أيها النبلاء والسادة اليقظون إذ

لقيتموني هنا على تلك الحال من البطء
والكسل .

النبلاء : كيف كان رقادك أي سيدنا اللورد ؟

ريشموند : أعذب نوم ، وأيمن أحلام طافت برأس
نائم ، منذ أن غادرتموني أي سادتي ،
اللوردات ، لقد خيل إليَّ أن أرواح من
صرعهم ريتشارد أتت إلى خيمتي
وبشرتني بالظفر . وإني لأؤكد لكم أن
السعادة تملأ نفسي لذكرى ذلك الحلم
الجميل . كم بقي على مطلع النهار أيها
السادة ، اللوردات ؟ .

النبلاء : إن الساعة تكاد أن تدق الرابعة ،

ريشموند : إذن فقد آن الوقت لنحمل سلاحنا ، ونعد
جنودنا للمعركة .

(خطبته في جنوده الذين تجمعوا حول خيمته)

أيها المواطنون الأوفياء ، إن هذا الوقت
الضيق الحرج لا يسمح لي أن أقول أكثر
مما قلت . ومع ذلك فلتذكروا هذا :
« إن الله وقضيتنا العادلة يقاتلان إلى
جانبنا ، ودعوات القديسين الأبرار
والأرواح المظلومة تقف أمام وجوهنا
كالحصون المنيعة . وإن من نقاتلهم ـ ما

عدا ريتشارد ـ يؤثرون أن يكون الظفر لنا
على أن يكون لذلك الذي يقودهم . ومَنْ
ذلك الذي يقودهم ، أيها السادة ، غير
طاغية قاتل سفاح ، رجل نشأ في الدماء ،
وأرسى ملكه على الدماء . رجل يتخذ كل
وسيلة للوصول إلى ما يريد ، ثم يقتل كل
من كانوا وسيلته إلى مبتغاه . حجر خسيس
جعله عرش إنكلترا نفيساً، ذلك العرش
الذي يعتليه بدون حق . رجل كان دائماً
عدواً لله . فإن حاربتموهم فسيرعاكم الله
بعدله كما يرعى جنده . وإن تعبتم الآن
لتقضوا على طاغية ، فسترقدون بعد في
طمأنينة حين يقتل ذلك الطاغية ، وإن
حاربتم الآن عدو بلادكم ؛ فسيكون من
خير بلدكم لتعبكم أجزل الأجر . وإن
حاربتم لتحموا نساءكم ، فإن نساءكم
سيرحبن بعودتكم منتصرين . وإن حررتم
أطفالكم من حكم الحسام ، فسيجزيكم
أحفادكم في شيخوختكم . فباسم الله
إذن ، وباسم هذه الحقوق جميعاً ، ارفعوا
راياتكم وأشهروا سيوفكم المتعطشة إلى
القتال . أما أنا فستكون جثتي الهامدة
على وجه هذه الأرض الباردة ، فداء
لمرادي الجريء . على أنه إن قدر لي

الفوز ونلت مرادي ، فسينال كل منكم ـ
حتى أدناكم ـ حقه منه أقرعوا الطبول ،
وانفخوا في الأبواق ، في شجاعة
واستبشار ؛ الله والقديس جورج !
ريشموند والظفر .

(يخرجون)

(يعود الملك ريتشارد وراتكليف مع رفاق وجنود)

الملك ريتشارد : ماذا قال نورثمبرلاند عن ريشموند ؟

راتكليف : قال إنه لا خبرة له بفنون الحرب .

الملك ريتشارد : لقد قال الصواب وماذا كان رد سري ؟

راتكليف : ابتسم ثم قال : ذلك خير لنا .

الملك ريتشارد : لقد فاه بالصواب . فالحقيقة أن ذلك خير
لنا .

(تدق الساعة)

عدّ دقات تلك الساعة . أعطني تقويماً .
من رأى منكم الشمس اليوم ؟ .

راتكليف : إني لم أرها يا مولاي .

الملك ريتشارد : إذن فهي ترفض أن تشرق ، فقد كان
ينبغي ، حسب التقويم ، أن تكون قد
أشرقت منذ ساعة ، ليكونن يوماً أسود عند
بعض الناس ! راتكليف !

راتكليف : مولاي ؟

الملك ريتشارد : لن تشرق الشمس اليوم ، فإن السماء تعبس في وجه جيشنا وتطبق غيومها عليه . وددت لو أن هذه الدموع الندية كانت من الأرض . لن تشرق اليوم ! وماذا يعنيني من هذا أكثر مما يعني ريشموند ؟ إن تلك السماء التي تتجهّم في وجهي ، تتجهّم كذلك في وجهه .

(يدخل نورفوك متعجلاً)

نورفوك : إلى السلاح ! إلى السلاح يا مولاي ـ فقد انتشر الأعداء في ساحة المعركة .

الملك ريتشارد : هيا ـ تحركوا تحركوا ـ أعدّ حصاني نادِ لورد ستانلي واطلب منه أن يقدم بقوته ، وسأقود أنا جنودي إلى السهل حيث أدير المعركة ، وسأعبىء طليعتي في خط واحد طويل من الفرسان والمشاة على السواء ، وسيكون رماتنا في الوسط . وسيقود دوق نورفوك المشاة ؛ ويقود الفرسان توماس إرل سري وسنليهما حين يتقدمان على هذا النحو بقلب الجيش ، يحميه من الجانبين جناحان من خيرة فرساننا . هذا هو ما أوصيكم به ، وليعنا القديس جورج . ما رأيك يا نورفوك ؟ .

نورفوك : خطة حكيمة أيها الملك الشجاع . لقد

عثرت على هذه على خيمتي هذا الصباح .

(يريه ورقة)

الملك ريتشارد : (يقرأ) أي جوكي نورفوك ، لا تغرق في الأمل فإن سيدك ديكون قد اشتراه رجاله وباعوني هذا من عمل العدو . إذهبوا أيها السادة كل إلى عمله . فلن ترهبنا أضغاث الأحلام . إن الضمير ليس إلا كلمة يتداولها الجبناء ، قُصد بها أول الأمر أن تفزع الأشداء ، فليكن جيشنا القوي ضميرنا ، والسيوف ناموسنا ، سيروا قدماً . وأقدموا بواسل على القتال ، لتمضِ هذه الحرب الضروس ، إن لم يكن إلى النعيم ، فيداً في يد إلى الجحيم !

(خطبته في جيشه)

ماذا أقول أكثر مما قلت ؟ اذكروا أن من ستلقونهم عصبة من الأفاقين ، والأنذال والفارين من وجه العدالة ، حثالة من أهل بريتاني والفلاحين الأذلاء . طردتهم بلادهم المتخمة . إلى المغامرة اليائسة والمومس المحقق ، رأوكم تنامون في أمان فجلبوا إليكم القلق ، رأوكم

تمتلكون الأرض ، وتنعمون بزوجات جميلات ، فأرادوا أن يغتصبوا الأولى ، ويدنسوا الأخرى ، ومن ذا الذي يقودهم غير إنسان سافل ، عاش طويلاً في بريتاني على نفقة والدتنا ؟ إنسان ناعم مخنث لم يحسّ قط في حياته بأيسر المشقة ، فلنجد هؤلاء ، الأفاقين ونرمي بهم إلى البحر مرة أخرى ، ولنطرد بالسياط تلك الخرق من الفرنسيين الأدعياء ، فنردهم خلف البحر إلى حيث كانوا ، ونجلد هؤلاء السائلين الذين أشقاهم الجوع كجرذان ذليلة ، فملّوا حياتهم وكان حرياً بهم أن يشنقوا ، من فقر وقلّة ، أنفسهم ، لولا ما يراودهم من أحلام بهذه الغنائم الجزيلة ، إن كان علينا أن نغلب فليغلبنا رجال ، لا أولاد الزنا هؤلاء من أهل بريتاني ، أولئكم الذين قهرهم آباؤنا في عقر دارهم وأذاقوهم الأمرين ، وأورثوهم خزياً دوّنه التاريخ ، أيستمتع هؤلاء بخيرات أرضنا ؟ ويضاجعون نساءنا ويغتصبون بناتنا ؟ .

(صوت طبول من بعيد)

اسمعوا ! إني أسمع طبولهم ، حاربوا يا سادة إنكلترا ، حاربوا أيها الرجال

الشجعان ، أطلقوا سهامكم أيها الرماة ،
صوبوها إلى الهامات أهمزوا جيادكم
الكريمة بقسوة وخوضوا في الدماء .
ولترع السماء رماحكم المتكسرة .

(يدخل رسول)

ماذا قال اللورد ستانلي ؟ هل سيأتي
بقواته ؟ .

الرسول : إنه يرفض أن يفعل يا مولاي .

الملك ريتشارد : فلتهوى رأس ابنه جورج .

نورفوك : لقد اجتاز العدو المستنقع فلننظر في أمر
موته بعد المعركة .

الملك ريتشارد : إن في صدري ألف قلب ضخم ، ارفعوا
راياتنا وشدوا على أعدائنا ، أي جورج
القديس الكريم يا وحي شجاعتنا من قديم
هبنا بسالة كبسالة تنين هائل ، إليهم !
وليقم الظفر على خوذاتنا !

(يهجمون)

المشهد الرابع

(مكان آخر من ساحة المعركة)

(ضجة وحركة ، يدخل نورفوك مرة أخرى وقوات تقتتل - يقترب منه كتسباي)

كتسباي : النجدة يا سيدي نورفوك ، النجدة ! النجدة ! إن الملك يأتي بخوارق فوق طاقة البشر ، ويلقي كل حملة من الأعداء بحملة مثلها ، ولكن حصانه قتل ، وهو الآن يقاتل راجلاً ، ويبحث في ساحة الموت عن ريشموند . النجدة أيها السيد الكريم ، وإلا خسرنا المعركة .

(صوت بوق - يدخل الملك ريتشارد)

الملك ريتشارد : حصان ! حصان ! مملكتي مقابل حصان !

كتسباي : تراجع يا مولاي ، وسآتيك بحصان .

الملك ريتشارد : أيها العبد ، لقد خاطرت بحياتي وسأقبل ما يأتي به القدر . يخيل إليَّ أن في ساحة المعركة ستة كريشموند ، فقد قتلت اليوم خمسة بدلاً منه . حصان ! حصان ! مملكتي مقابل حصان .

(يخرجون)

المشهد الخامس

(مكان من ساحة المعركة)

(أبواق ـ يدخل ريتشارد وريشموند يقتتلان . يقتل ريتشارد ، تقهقر وأبواق ـ يعود ريشموند وستانلي يحمل التاج ونبلاء كثيرون آخرون)

ريشموند : حمداً لله ولسيوفكم أيها الأصدقاء المنتصرون ! لقد ربحنا المعركة ومات الكلب السفاح .

ديربي : أي ريشموند الباسل لقد حققت أملنا فيك . أنظر ، ها هو ذا التاج الذي طال اغتصابه انتزعه من جبين ذلك الشقي السفاح ليزين جبينك . فضعه على جبينك ، واستمتع به طويلاً .

ريشموند : أجب دعاءه يا رب السموات المجيد . ولكن أخبرني ، ألا يزال جورج ستانلي الصغير على قيد الحياة ؟ .

ديربي : نعم يا مولاي وهو الآن في مأمن في مدينة لستر ، ولعلنا الآن نستطيع إذا أذنت أن نسير إلى هناك .

ريشموند : من قتل من أكابر الرجال من الفريقين ؟ .

ديربي : جون دوق نورفوك ، ولتر لورد فيررز وسير روبرت راكينبري وسير وليام براندون .

ريشموند : فليدفنوا بما يليق بمركزهم : ولتعلنوا العفو عمن يرجع مستسلماً من الجنود ، وحين نأخذ على أنفسنا العهد سنوحد بين الـزهرة البيضـاء والزهـرة الحمراء ، فلتضحكي أيتها السماء لتلك الوحدة الجميلة . كما طال تجهمك لما كان بين هذين الفريقين من بغضاء . لا أعتقد أن بيننا خائناً لا يؤمن على هذا الدعاء . لقد طال بإنكلترا هذا الجنون ، وطالما أثخنت نفسها بالكلوم وطالما أراق الشقيق في غيّه دماء شقيقه وقتل الوالد في جهالة ولده ، واضطر الولد إلى قتل والده .
كل هذا فرّق بين يورك ولانكستر فرقة كانت وبالاً عليهما . والآن فليجمع النسل الحر ، لهذين البيتين الملكيين ريشموند وأليـزابيت ، شمل يـورك ولانكستـر المتصـدع ، وليكتـب الله فضـله ، لأولادهما أن يبقى اتحادهما ويفيضوا على المستقبل السلام السمح ، والرخـاء البسام ، والأيام الجميلة السعيدة ، أي ربي الكريم ، أكسر شوكة الخونة ، الذين

يتمنون أن يعيدوا تلك الأيام الدامية ،
ويذرفوا دموع إنكلترا في أنهار الدماء . لا
تكتب لهم أن يذوقوا رخاء هذه الأرض ،
فسيطعنون بخيانتهم سلامتها .
الآن اندملت كلومنا وعاد السلام ، مرة
أخرى . فلتطل بيننا حياته . آمين .

(يذهبون)



روائع شكسبير

* الملك لير
* هملت
* عطيل
* كليوباترا
* العاصفة
* يوليوس قيصر
* تاجر البندقية
* ريتشارد الثالث
* روميو وجولييت
* سيدان من فيرونا
* حلم ليلة صيفية